بستان الكرز

كوميديا فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

رانيفسكايا لوبوف أندريفنا	إقطاعية
آنيا	ابنتها، ١٧ سنة
فاريا	ابنتها بالتبنى، ٢٤ سنة
جايف ليونيد أندرييفتش	شقيق رايفسكايا
لوباخين يرمولاى أليكسييفتش	تاجر
تروفيموف بيوتر سيرجييفتش	طالب
سيميونوف ـ بيشيّك بوريس	
بوريسوفتش	إقطاعى
شارلوتا إيفانوفنا	مربية أطفال
يبيخودوف سيميون	
بانتيلييفتش	وكيل أعمال
دونياشا	خادمة (فتاة)
فيرس	خادم عجوز، ٨٧ سنة
ياشا	خادم شاب
عابر سبيل	
ناظر محطة	
موظف بريد	
ضيوف، خدم	

ـ الأحداث تجرى فى ضيعة رانيفسكايا

الفصل الأول

(غرفة ما زالت إلى الآن تسمى غرفة الأطفال. أحد الأبواب يفضى إلى غرفة آنيا. الوقت فجر، قريبا ستشرق الشمس. شهر مايو قد حل، وأشجار الكرز مزهرة، إلا أن الجو فى البستان بارد، صقيع خفيف فى الصباح. نوافذ الغرفة مغلقة. تدخل دونياشا بشمعة ولوباخين بكتاب فى يده).

لــوبــاخــيــن: وصل القطار والحمد لله. كم الساعة؟

دونــيــاشــا: تقريبا الثانية **(تطفئ الشمعة)** الدنيا نور.

لــوبــاخــيــن: وإذن فكم تأخر القطار؟ ساعتين على الأقل. **(يتثاءب وهو يتمطى)** يالى من شاطر، أى حماقة ارتكبت! جئت خصيصا إلى هنا لأستقبلهم فى المحطة، وإذا بى أنعس.. نمت جالسا. شىء مؤسف.. أما كان بوسعك أن توقظينى.

دونــيــاشــا: ظننتك رحلت. **(تصيخ السمع)** هاهم قادمون فيما يبدو.

لــوبــاخــيــن: **(مصيخا)** كلا... فإلى أن يتسلموا الأمتعة، وغير ذلك من الأمور..

(صمت)

لوبوف أندرييفنا أمضت فى الخارج خمس سنوات، فلا أدرى كيف أصبحت الآن... إنها شخص طيب. شخص لطيف، بسيط. أذكر عندما كنت صبيا، فى حوالى الخامسة عشرة، ضربنى المرحوم أبى ـ وكان آنذاك صاحب دكان هنا فى القرية ـ ضربنى بقبضته فى وجهى، فتدفق الدم من أنفى.. جئت معه آنذاك لغرض ما إلى هذه الدار، وكان ثملا. وأذكر كأنما الآن كيف أخذتنى لوبوف أندرييفنا، وكانت ما تزال شابة، نحيفة للغاية، إلى حوض الغسيل هنا، فى هذه الغرفة نفسها، غرفة الأطفال. وقالت لى: «لا تبك أيها الفلاح الصغير، ستشفى قبل الزواج..».

(صمت)

الفلاح الصغير.. حقا كان أبى فلاحا، أما أنا فأرتدى صديريا أبيض، وحذاء أصفر. من خفير إلى أمير. إننى غنى، ونقودى كثيرة، ولكن إذا أمعنا التفكير ودققنا فأنا فلاح جلف.. **(يقلب صفحات الكتاب)** قرأت هذا الكتاب فلم أفهم شيئا. نعست وأنا أقرأ.

(صمت)

دونياشا: الكلاب لم تنم طول الليل، تشعر أن أسيادها قادمون.

لــوبــاخــيــن: مالك يا دونياشا هكذا..

دونــيـــاشـــا: يداى ترتعشان.. سيغمى علىّ.

لــوبــاخــيــن: يالك من رقيقة يا دونياشا. وتلبسين ثيابا كثياب السيدة، وتسريحتك أيضا. لا يصح. ينبغى أن تذكرى من أنت.

(يدخل يبيخودوف ومعه باقة زهر، يرتدى سترة وحذاء عاليا منظفا حتى اللمعان يصدر عنه صرير قوى. عندما يدخل تسقط منه الباقة).

يبيخـــودوف: **(يرفع الباقة)** البستانى أرسل هذا، قال ضعوها فى غرفة الطعام **(يعطى الباقة لدونياشا).**

لــوبــاخــيــن: هاتى معك كفاسا[1].

دونــيـــاشـــا: حاضر. **(تنصرف).**

يبيخـــودوف: الصقيع الآن يهبط فى الصباح، ثلاث درجات تحت الصفر، والكرز فى عز ازدهاره. لا أستطيع أن أحبذ مناخنا. **(يتنهد)** لا أستطيع. مناخنا لا يمكن أن يعين بالصورة المناسبة. اسمح لى يا يرمولاى أليكسييفتش أن أضيف إلى القول بأنى اشتريت منذ ثلاثة أيام حذاء، فإذا به، ودعنى أؤكد لك، يصر إلى درجة لا تحتمل. فبم أدهنه؟

لــوبــاخــيــن: ابتعد، أضجرتنى.

يبيخـــودوف: كل يوم تصيبنى بلوى ما. ولكنى لا أتذمر، تعودت، بل حتى أبتسم.

---

(١) الكفاس ـ مشروب شعبى يصنع من الخبز الأسود المخمر. المعرب.

(تدخل دونياشا وتقدم الكفاس للوباخين).

سأذهب **(يصطدم بالكرسى فيسقط الكرسى)** انظر.. **(بلهجة ظافرة)** أرأيت، واعذرنى على التعبير، هذه الحالة بالمناسبة.. بل هذا ببساطة رائع! **(ينصرف).**

دونياشا: أصارحك يا يرمولاى أليكسييفتش بأن يبيخودوف عرض علىّ الزواج.

لوباخين: آ!

دونياشا: لا أدرى ما العمل.. إنه شخص طيب، ولكن أحيانا يبدأ فى الكلام فلا تفهم منه شيئا.. كلام جميل، مؤثر، لكن غير مفهوم. يخيل إلى أنه يعجبنى. وهو يحبنى بجنون. إنه إنسان تعيس، كل يوم يحدث له شىء.. وهكذا يغيظونه هنا باسم: العشرون مصيبة..

لوباخين: **(يصيخ)** هاهم قادمون فيما يبدو..

دونياشا: قادمون! ماذا جرى لى.. البرودة تشملنى كلى.

لوباخين: بالفعل قادمون. هيا نستقبلهم. ترى هل ستعرفنى؟ لم نتقابل منذ خمس سنوات.

دونياشا: **(منفعلة)** سأسقط الآن.. آه سأسقط!

(يسمع صوت عربتين تدلفان إلى المنزل. لوباخين ودونياشا ينصرفان بسرعة. الخشبة خاوية. فى الغرف المجاورة تتصاعد ضجة. فيرس الذى كان قد سافر لاستقبال لوبوف أندرييفنا يمر عبر الخشبة بعجلة، معتمدا

على عصاه، يرتدى كسوة خدم عتيقة الطراز وقبعة عالية يكلم نفسه بعبارات مبهمة لا يمكن فهم كلمة واحدة منها. الضجة تتصاعد خلف الخشبة. صوت يقول: «هيا نمر من هنا..» لوبوف أندرييفنا وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا معها كلب صغير بمقود، مرتديات ثياب السفر. فاريا فى معطف ومنديل رأس. جايف وسيميونوف بيشيك، ولوباخين ودونياشا ومعها صرة وشمسية، والخدم يحملون الأمتعة، الكل يمرون عبر الغرفة).

آنيا: فلنمر من هنا. أتذكرين يا ماما أية غرفة هذه؟

لوبوف أندرييفنا: **(بفرحة، من خلال الدموع)** غرفة الأطفال!

فاريا: يا للبرد، يداى تجمدتا **(للوبوف أندرييفنا)** غرفتاك، البيضاء والبنفسجية، ظلتا كما كانت يا ماما.

لوبوف أندرييفنا: غرفة الأطفال، غرفتى الحبيبة، الرائعة.: كنت أنام هنا وأنا طفلة.. **(تبكى)** والآن أيضا أبدو كطفلة.. **(تقبل أخاها وفاريا، ثم أخاها ثانية)** أما فاريا فهى كما كانت من قبل، تشبه الراهبة. ودونياشا عرفتها.. **(تقبل دونياشا)**.

جايف: القطار تأخر ساعتين، هل رأيت؟ أرأيت هذه الأمور؟

شارلوتا: **(لبيشّيك)** كلبتى تأكل حتى الجوز.

بيشيك: **(مندهشا)** يا سلام!

(يخرج الجميع ما عدا آنيا ودونياشا).

دونياشا: كم انتظرناكم.. **(تنزع عن آنيا المعطف والقبعة).**

آنـــــيـــــا: لم أنم فى الطريق أربع ليال.. أشعر الآن ببرودة شديدة.

دونـــيـــاشـــا: أنتم سافرتم فى الصيام الكبير، وكان وقتها ثلج، صقيع، والآن؟ آه يا حبيبتى! **(تضحك، تقبلها)** كم انتظرناك يا فرحتى، يا نور عينى.. سأخبرك الآن حالا، أنا لا أستطيع أن أنتظر دقيقة واحدة..

أنـــــيـــــا: **(بفتور)** شيئًا ما مرة أخرى..

دونـــيـــاشـــا: وكيل الأعمال يبيخودوف بعد عيد الفصح عرض علىَّ الزواج.

آنـــــيـــــا: دائما عن نفس الشيء.. **(تسوى شعرها)** ضيعت كل بنسى.. **(مرهقة جدًا، بل حتى تترنح)**

دونـــيـــاشـــا: لست أدرى ما العمل. إنه يحبنى، كم يحبنى!

آنـــــيـــــا: **(تنظر عبر باب غرفتها برقة)** غرفتى، نوافذى، كأنى لم أرحل. أنا فى البيت! غدا صباحا سأنهض فأركض إلى البستان.. آه لو أستطيع أن أنام! لم أنم طوال الطريق، وتملكنى القلق.

دونـــيـــاشـــا: بيوتر سيرجييفتش جاء منذ ثلاثة أيام.

آنـــــيـــــا: **(بفرحة)** بيتيا!

دونـــيـــاشـــا: ينام فى الحمَّام، وهناك يعيش. يقول: أخشى أن أضايقكم. **(تنظر إلى ساعة جيبها)** ينبغى أن أوقظه، لكن فارفارا ميخايلوفنا منعتنى، قالت لى: لا توقظيه.

(تدخل فاريا وفى حزامها سلسلة مفاتيح)

فــــاريـــــا: القهوة يا دونياشا، بسرعة.. ماما تريد قهوة.

دونــيــاشــا: حالا: **(تخرج)**

فــــاريـــــا: وصلتم والحمد لله. ها أنت فى البيت ثانية. **(تلاطفها)** حبيبتى جاءت! حسنائى جاءت!

آنـــيـــــا: كم تعذبت!

فــــاريـــــا: أتصور ذلك!

آنـــيـــــا: سافرت من هنا فى أسبوع الآلام، وكان الجو باردا. وأخذت شارلوتا تتحدث طوال الطريق وتقدم ألعابا. لا أدرى لماذا فرضت علىّ شارلوتا..

فــــاريـــــا: لا يمكن أن تسافرى وحدك يا روحى. فى السابعة عشرة!

آنـــيـــــا: وصلنا إلى باريس.. برد، وفرنسيتى فظة. ماما تسكن فى الطابق الخامس. دخلت، فوجدت عندها فرنسيين لا أعرفهم وسيدات وقس عجوز يمسك بكتاب، والدخان يملأ الغرفة، والجو غير مريح. وفجأة أحسست بالرثاء الشديد لماما، فضممت رأسها إلىّ، وأطبقت عليه بيدى ولم أستطع أن أتركه. وبعدها ظلت ماما تلاطفنى طويلا وتبكى...

فــــاريـــــا: **(من خلال الدموع)** نعم، نعم..

آنـــيـــــا: كانت قد باعت فيلتها قرب «منتونا»، ولم يعد لديها شىء، على الإطلاق. وأنا أيضًا لم يبق لدى كوبيك،

وصلنا بالكاد. ولكن ماما لا تفهم! إذا جلسنا فى مقصف المحطة للغداء تطلب أغلى المأكولات، وتعطى بقشيشا لكل خادم روبلا. وشارلوتا أيضًا. وياشا أيضًا يطلب لنفسه طبقا، شىء فظيع. لدى ماما خادم، ياشا، جئنا به إلى هنا..

فـــاريـــا: رأيته الوغد.

آنـــيـــا: حسنا، ماذا؟ هل سددتم فوائد الدين؟

فـــاريـــا: من أين لنا.

آنـــيـــا: يا إلهى، يا إلهى..

فـــاريـــا: فى أغسطس ستباع الضيعة..

آنـــيـــا: يا إلهى...

لـوبـاخـيـن: **(يطل من الباب ويخور)** مو.. مو.. مو.. **(ينصرف)**

فـــاريـــا: **(من خلال الدموع)** بودى لو ضربته فى سحنته... **(تتوعد بقبضتها)**

آنـــيـــا: **(تعانق فاريا، تقول بصوت خافت)** فاريا، هل تقدم لخطبتك؟ **(فاريا تهز رأسها سلبا)** ولكنه يحبك.. لماذا لا تتصارحان، ماذا تنتظران؟

فـــاريـــا: أعتقد لن نتوصل إلى شىء. لديه أعمال كثيرة، عنده ما يشغله عنى.. لا يلقى إلىَّ بالاً، سامحه الله، رؤيته أمامى كم تعذبنى. الجميع يتحدثون عن زواجنا، الجميع يهنئون، بينما ليس هناك شىء، كأنما حلم.. **(بنبرة أخرى)** بروشك هذا يشبه النحلة.

آنـــــيـــــا: **(بحزن)** ماما اشترته. **(تذهب إلى غرفتها،تقول بصوت مرح، كالأطفال)** فى باريس طرت فى المنطاد!

فـــاريـــا: حبيبتى جاءت! حسنائى جاءت!

(دونياشا تعود بغلاية القهوة وتشرع فى إعدادها)

(واقفة بجوار الباب) أدور يا حبيبتى طول النهار فى البيت وأنا أعمل وأحلم. لو نزوجك من رجل غنى، إذن لاطمأن قلبى، ولذهبت إلى الدير ثم إلى كييف.. وإلى موسكو، ولطفت بجميع الأماكن المقدسة.. لظللت طوال الوقت أطوف وأطوف.. يا للجلال!..

آنـــــيـــــا: الطيور تصدح فى البستان. كم الساعة الآن؟

فـــاريـــا: لعلها الثالثة. ينبغى أن تنامى يا حبيبتى **(تدخل غرفة آنيا)** يا للجلال!

(يدخل ياشا بحرام وحقيبة سفر)

يـــــاشـــــا: **(يسير عبر الخشبة، بلهجة مؤدبة)** أيمكننى أن أمر من هنا؟

دونـــيـــاشـــا: كم تغيرت يا ياشا فى الخارج. يصعب التعرف عليك.

يـــــاشـــــا: إم.. ومن أنت؟

دونـــيـــاشـــا: عندما سافرت كنت أنا هكذا.. **(تشير بيدها بارتفاع عن الأرض)** أنا دونياشا.. ابنة فيودور كوزودويف. لا تذكرنى!

يـــــاشـــــا: إم.. يا للتفاحة! **(يتلفت ثم يحضنها، تصرخ ويسقط منها الطبق. ياشا ينصرف بسرعة)**

فـــــاريـــــا: **(فى الباب، بصوت ساخط)** ماذا يحدث هنا؟

دونـــيـــاشـــا: **(من خلال الدموع)** كسرت الطبق..

فـــــاريـــــا: هذا فأل حسن.

آنـــــيـــــا: **(خارجة من غرفتها)** يجب تنبيه ماما، بأن بيتيا هنا..

فـــــاريـــــا: أنا أمرت بعدم إيقاظه.

آنـــــيـــــا: **(بتفكير)** منذ ست سنوات مات أبى، وبعد شهر غرق فى النهر أخى جريشا، صبى لطيف فى السابعة. لم تحتمل ماما فهربت، لاذت بالفرار.. **(تنتفض)** آه لو تدرى كم أفهمها!

(صمت)

كان بيتيا تروفيموف يدرس لجريشا، وقد يذكرها به..

(يدخل فيرس، يرتدى سترة وصديريًا أبيض)

فـــيـــرس: **(يتجه إلى غلاية القهوة، يقول مهمومًا)** السيدة ستتناولها هنا.. **(يرتدى القفاز الأبيض)** القهوة جاهزة؟ **(يقول لدونياشا بصرامة)** أنت! والكريمة؟

دونـــيـــاشـــا: آه يا إلهى!.. **(تخرج بسرعة)**

فـــيـــرس: **(يسعى مهموما بجوار غلاية القهوة)** يا لك من مغفلة.. **(يدمدم لنفسه)** جاؤوا من باريس... والسيد أيضًا ذهب إلى باريس فى زمانه.. على الخيول.. **(يضحك)**

فـــاريـــا: عم تتحدث يا فيرس؟

فـــيـــرس: أى خدمة؟ **(بفرح)** سيدتى عادت! عشت حتى رأيتها! الآن أستطيع أن أموت.. **(يبكى من الفرحة)**

(تدخل لوبوف أندرييفنا، وجايف، وسيميونوف ـ بيشّيك. سيميونوف ـ بيشّيك يرتدى سترة من الجوخ الخفيف وسروالا فضفاضا. جايف أثناء دخوله يصنع بيديه وجسمه حركات وكأنه يلعب البلياردو).

لوبوف أندريفنا: كيف ذلك؟ دعنى أتذكر.. الصفراء إلى الزاوية! دوبل إلى الوسط!

جـــايـــف: اضرب فى الزاوية! فى وقت ما كنا ننام معا فى هذه الغرفة يا أختاه، أما الآن فعندى واحد وخمسون عاما، مهما بدا غريبا..

لـوبـاخـيـن: نعم، الزمن يمضى.

جـــايـــف: من؟

لـوبـاخـيـن: أقول الزمن يمضى.

جـــايـــف: هنا تفوح رائحة العطور الرخيصة.

آنـــيـــا: سأذهب لأنام. تصبحين على خير يا ماما. **(تقبل أمها)**

لوبوف أندريفنا: يا بنيتى الكتكوتة **(تقبل يديها)** أنت سعيدة بالعودة للبيت؟ أنا لا أستطيع أن أهدأ.

آنـــيـــا: الوداع يا خالى.

جــــايـــف: **(يقبل وجهها ويديها)** يحرسك الله. كم تشبهين أمك!

(لأخته) كنت يا لوبوف فى عمرها مثلها بالضبط.

(آنيا تمد يدها إلى لوباخين وبيشّيك، ثم تخرج وتوصد الباب خلفها)

لوبوف أندرييفنا: إنها مرهقة جدا.

بـيـشـيـك: لابد أن الطريق طويل.

فـــاريـــا: **(إلى لوباخين وبيشيك)** ماذا يا سادة؟ الساعة الثالثة، آن أن تنصرفا.

لوبوف أندرييفنا: **(تضحك)** أنت مثلما كنت يا فاريا **(تضمها إليها وتقبلها)** سأفرغ من القهوة فننصرف جميعا.

(فيرس يضع وسادة تحت قدميها)

أشكرك يا عزيزى.. لقد تعودت على القهوة. أشربها نهارا وليلا. أشكرك يا عجوزى. **(تقبل فيرس)**

فـــاريـــا: سأرى هل أحضروا كل الأمتعة.. **(تخرج)**

لوبوف أندرييفنا: أحقا أنا الجالسة؟ **(تضحك)** أريد أن أقفز، أن أشيح بيدى **(تخفى وجهها بيديها)** ربما كنت نائمة! يعلم الله كم أحب الوطن، أحبه برقة، لم أستطع النظر من العربة، كنت أبكى. (من **خلال الدموع**) لكن ينبغى أن أشرب القهوة. شكرا يافيرس، شكرا يا عجوزى. كم أنا سعيدة لأنك ما زلت حيا.

فـــيـــرس: أول أمس.

جــــايـــف: إنه لا يسمع جيدا.

لــوبــاخــيــن: عليّ الآن، فى الخامسة صباحا، أن أسافر إلى خاركوف. يا للأسف! وددت أن أستمتع بصحبتك، بالحديث معك.. أنت كما كنت رائعة.

بــيــشــيــك: **(يتنفس بصعوبة)** بل وازددت حسنا.. فى أزياء باريسية.. فلتهلك عربتى، وعجلاتها الأربع..

لــوبــاخــيــن: أخوك، ليونيد أندرييفتش هذا، يقول عنى إننى جلف، كولاك، ولكن ذلك سيان بالنسبة لى. فليقل. بودى فقط أن تصدقينى كما فى السابق، أن تنظر إلىّ عيناك المدهشتان المؤثرتان كما فى السابق. يا إلهى الرحيم! لقد كان أبى عبدا عند جدك وأبيك، ولكنك، أنت بالذات، صنعت الكثير من أجلى فى وقت ما، حتى إننى نسيت كل شىء، وأصبحت أحبك كقريبة.. بل أكثر من قريبة.

لوبوف أندرييفنا: لا أستطيع أن أبقى جالسة، لا أقوى.. **(تقفز وتذرع الغرفة فى إنفعال شديد)** لن أتحمل هذه الفرحة.. اضحكوا منى فأنا حمقاء.. يا دولابى الغالى **(تقبل الدولاب)** يا طاولتى.

جــايــف: فى غيابك ماتت الدادة.

لوبوف أندرييفنا: **(تجلس وتشرب القهوة)** نعم، عليها الرحمة. علمت من الرسائل.

جــايــف: وأنستاسى أيضًا مات. بتروشكا الأعور تركنى، وهو

الآن فى المدينة، يعيش عند رئيس الشرطة **(يخرج من جيبه علبة كراملة ويمص منها)**

بـيـشـيـك: ابنتى داشنكا.. تبعث إليك بتحياتها..

لـوبـاخـيـن: بودى أن أقول لك شيئا سارا للغاية، مفرحا **(ينظر إلى ساعته)** سأسافر الآن، لا وقت للكلام.. طيب، فى كلمتين أو ثلاث. أنت قد علمت بأن بستان الكرز، بستانكم، سيباع سدادا للديون، وتحدد الثانى والعشرون من أغسطس للمزاد ولكن لا تقلقى ياعزيزتى، نامى مطمئنة، فهناك حل.. هاكم مشروعى أرجو الانتباه! ضيعتك تقع على بعد عشرين كيلو مترا فقط من المدينة، وبقربها مد خط سكك حديدية، ولو قُسم بستان الكرز والأراضى الواقعة على النهر إلى قطع لبناء الفيلات، وأُجّرت هذه القطع، فسوف تحصلين على خمسة وعشرين ألفا فى السنة على الأقل.

جـايـف: عفوا، هذا كلام فارغ!

لوبوف أندريفنا: أنا لا أفهمك تماما يا يرمولاى أليكسييفتش.

لـوبـاخـيـن: ستأخذون من المصطافين، أصحاب الفيلات، خمسة وعشرين روبلا على الأقل فى السنة مقابل عشر الهكتار، ولو أعلنتم الآن فورا فأقسم لكم بما تشاءون بأنه حتى الخريف لن يتبقى لديكم قطعة أرض واحدة، ستؤجر كلها. وباختصار أهنئكم، لقد أُنقِذتُم. الموقع رائع، والنهر عميق. لكن بالطبع ينبغى تنظيف المكان قليلا،

وتهذيبه.. مثلا، يعنى، إزالة جميع المبانى القديمة، وهذا المنزل، الذى لم يعد يصلح أبدا، تقطيع أشجار بستان الكرز القديم..

لوبوف أندرييفنا: تقطيع الأشجار؟ يا عزيزى، عفوا، إنك لا تفقه شيئًا. إذا كان هناك فى المحافظة كلها شيء طريف بل ورائع، فهو فقط بستان كرزنا.

لوباخين: الشيء الرائع الوحيد فى هذا البستان أنه كبير جدا فالكرز لا يثمر إلا مرة كل عامين، ثم إنه لا يمكن تصريفه، لا أحد يشتريه.

جايف: وفى «المعجم الموسوعى» ورد ذكر هذا البستان.

لوباخين: **(ينظر إلى ساعته)** إذا لم نتوصل إلى شيء ولم نجد حلا ففى الثانى والعشرين من أغسطس سيباع بستان الكرز والضيعة فى المزاد. أقدموا إذن! لا يوجد حل آخر، أقسم لكم. لا يوجد، لا يوجد.

فيرس: فى الماضى، منذ حوالى أربعين أو خمسين سنة، كانوا يجففون الكرز، وينقعونه، ويخللونه، ويصنعون منه المربى وكانوا..

جايف: اسكت يا فيرس.

فيرس: وكانوا يرسلون الكرز المجفف بالعربات إلى موسكو وخاركوف. ما كان أكثر النقود! وكان الكرز المجفف آنذاك طريا، ريان، حلوا، عطرا.. كانت لديهم طريقة آنذاك..

لوبوف أندرييفنا: وأين تلك الطريقة الآن؟

فـــيــــرس: نسوها. لا أحد يذكرها.

بـيـشـيـك: **(للوبوف أندرييفنا)** ماذا فى باريس؟ كيف الحال؟ أكلت ضفادع؟

لوبوف أندرييفنا: أكلت تماسيح.

بـيـشـيـك: يا سلام..

لـوبـاخـيـن: لم يكن يعيش فى الريف من قبل سوى السادة والفلاحين، أما الآن فظهر المصطافون، أصحاب الفيلات. جميع المدن حتى أصغرها، محاطة اليوم بالفيلات. ويمكن القول إنه خلال عشرين سنة سيتكاثر المصطافون بدرجة هائلة. المصطاف الآن يشرب الشاى فقط فى الشرفة، ولكن ربما يحدث أن يمارس الفلاحة فى عشر هكتاره، وعندئذ سيصبح بستان كرزكم محظوظا، ثريا، فخما..

جـــايـــف: **(باستياء)** ما هذا الهراء!

(تدخل فاريا وياشا)

فـــاريـــا: وصلت برقيتان لك يا ماما. **(تجد المفتاح المناسب وتفتح دولابا قديما برنين عال)** هاهما.

لوبوف أندرييفنا: إنهما من باريس. **(تمزق البرقيتين دون أن تقرأهما)** باريس انتهت..

جـــايـــف: أتعلمين يا لوبا كم عمر هذا الدولاب؟ منذ أسبوع سحبت الدرج الأسفل فرأيت أرقاما

محفورة. صنع الدولاب منذ مائة عام بالضبط. أرأيت؟ هه؟ كان من الممكن الاحتفال بعيده. إنه مادة غير حية ولكنه، مهما كان، دولاب كتب.

بـيـشـيـك: **(بدهشة)** مائة عام.. يا سلام!..

جـايـف: نعم هذه تحفة.. **(يتلمس الدولاب)** أيها الدولاب العزيز الموقر! إننى أحيى وجودك، الذى كان موجها منذ أكثر من مائة عام إلى المُثُل المشرقة للخير والعدالة. إن دعوتك الصامتة إلى العمل المثمر لم تضعف طوال مائة عام، وهى تساند **(من خلال الدموع)** الهمة والإيمان بمستقبل أفضل فى أجيال عائلتنا، وتربى فينا مُثُل الخير والوعى الاجتماعى.

(صمت)

لـوبـاخـيـن: نعم..

لوبوف أندرييفنا: أنت لم تتغير يا لونيا.

جـايـف: **(خجلا بعض الشىء)** من الكرة إلى اليمين إلى الزاوية! اضرب فى الوسط!

لـوبـاخـيـن: **(يتطلع إلى الساعة)** حسنا، حان رحيلى.

يـاشـا: **(يقدم الدواء للوبوف أندرييفنا)** ربما تتناولين الأقراص الآن..

بـيـشـيـك: لا داعى لتناول الأدوية يا عزيزتى.. ليس منها ضرر أو نفع.. هاتيها هنا، سيدتى الموقرة **(يأخذ الأقراص**

ويفرغها فى راحة يده، وينفخ فيها ثم يضعها فى فمه ويبلّعها بالكفاس) هكذا!

لوبوف أندرييفنا: **(بفزع)** أنت جننت!

بـيـشـيـك: تناولت كل الأقراص.

لـوبـاخـيـن: يالها من بلاّعة!

(الجميع يضحكون)

فـيـرس: فى عيد القيامة كان عندنا، أكل نصف دلو خيار.. **(يدمدم)**

لوبوف أندرييفنا: عم يتحدث؟

فـاريـا: منذ ثلاث سنوات وهو يدمدم هكذا. لقد تعودنا.

يـاشـا: سن متأخرة!

(تمر عبر الخشبة شارلوتا إيفانوفنا فى فستان أبيض، نحيفة جدا، مشدودة، بمنظار فى حزامها)

لـوبـاخـيـن: عفوا يا شارلوتا إيفانوفنا، لم أتمكن بعد من تحيتك **(يريد أن يقبل يدها)**

شـارلـوتـا: **(تجذب يدها)** إذا سمحت لك بتقبيل يدى فسترغب بعد ذلك فى تقبيل كوعى، ثم كتفى..

لـوبـاخـيـن: أنا اليوم سيئ الحظ.

الجميع يضحكون

شارلوتا إيفانوفنا، أرينا نمرة!

لوبوف أندرييفنا: شارلوتا، أرينا نمرة!

شـــارلـــوتـــا: لاداعى. أريد أن أنام. **(تنصرف)**

لــوبــاخــيــن: أراكم بعد ثلاثة أسابيع. **(يقبل يد لوبوف أندرييفنا)** إلى اللقاء، وداعا. حان الوقت! **(لجايف)** إلى اللقاء. **(يتبادل القبلات مع بيشيك)** إلى اللقاء. **(يمد يده لفاريا ثم لفيرس ثم لياشا)** لا أرغب فى الرحيل. **(للوبوف أندرييفنا)** إذا فكرت بخصوص الفيلات وقررت أخبرينى، وسأحصل على قرض بحدود خمسين ألفا. فكرى جديا.

فـــــاريــــــا: **(بغضب)** هلا رحلت فى النهاية!

لــوبــاخــيــن: راحل، راحل.. **(ينصرف)**

جــــايــــف: جلف. لكن عفوا.. فاريا ستتزوجه، إنه عريس فاريا الغالى.

فـــــاريــــــا: لاداعى لهذا الكلام يا خالى.

لوبوف أندرييفنا: حسنا يافاريا. سأكون سعيدة جدًا. إنه رجل طيب.

بــيــشــيــك: الحقية إنه رجل.. ذو مكانة.. وداشنكا ابنتى تقول أيضًا.. تقول أشياء كثيرة «يغط ويشخر ثم يفيق فى التـو» ومع ذلك يا سيدتى الموقـرة أقرضينى.. سلفة. مائتين وأربعين روبـلا.. علىّ أن أسدد غدا ديون الرهونات.

فـــــاريــــــا: **(بفزع)** لا يوجد، لا يوجد!

لوبوف أندرييفنا: بالفعل ليس لدى نقود.

بـيـشـيـك: ستجدين **(يضحك)** أنا لا أفقد الأمل أبدا. ظننت أن كل شيء ضاع، إننى هلكت، وإذا بالسكة الحديدية تمر عبر أرضى و.. دفعوا لى. وهكذا ربما يحدث شيء آخر، إن لم يكن اليوم فغدا.. ربما تفوز داشنكا بمائتى ألف.. لديها ورقة يانصيب.

لوبوف أندريفنا: القهوة شربناها، ويمكننا أن ننام.

فـيـرس: **(ينظف جايف بالفرشاة، يقول بوصاية)** مرة ثانية لم تلبس السروال المناسب. آه، ماذا أفعل معك!

فـاريـا: **(بصوت خافت)** آنيا نامت. **(تفتح النافذة بحذر)** أشرقت الشمس والجو غير بارد. انظرى يا ماما، ما أروع هذه الأشجار! يا إلهى، والهواء! والزرازير تشدو!

جـايـف: **(يفتح النافذة الأخرى)** البستان كله أبيض. ألم تنسى يا لوبا؟ هذا الدرب الطويل يمتد مستقيما مستقيما، كأنه حزام مشدود، وفى الليالى المقمرة يلمع. أتذكرين؟ ألم تنسى؟

لوبوف أندريفنا: **(تنظر من النافذة إلى البستان)** يا طفولتى، يا طهارتى! فى غرفة الأطفال هذه كنت أنام، وأنظر من هنا إلى البستان، والسعادة تستيقظ معى كل صباح، وكان آنذاك مثلما هو الآن تماما، لم يتغير شيء **(تضحك من الفرحة)** كله، كله أبيض! يا بستانى الحبيب! بعد الخريف المظلم المكفهر، والشتاء البارد عدت فتيا،

مفعما بالسعادة ولم تهجرك ملائكة السماء.. لو أستطيع أن ألقى عن صدرى وكتفىّ ذلك الحجر الثقيل، لو أستطيع أن أنسى الماضى!

جـــايـــف: نعم، وسيباع البستان سدادا للديون، مهما بدا هذا غريبا..

لوبوف أندرييفنا: انظروا، المرحومة أمى تسير فى البستان.. فى فستان أبيض! **(تضحك من الفرحة)** إنها هى.

جـــايـــف: أين؟

فـــاريـــا: ماما، ماذا بك!

لوبوف أندرييفنا: لا أحد، خيّل إلىَّ. إلى اليمين، عند المنعطف المؤدى إلى العريشة، انحنت شجرة بيضاء، تشبه امرأة..

(يدخل تروفيموف فى سترة طلابية بالية، يرتدى نظارة)

ياله من بستان رائع! كتل من الزهر الأبيض، والسماء زرقاء..

تـروفـيـمـوف: لوبوف أندرييفنا! **(تلتفت نحوه)**

جئت لأحييك وسأنصرف فورا. **(يقبل يدها بحرارة)**

أمرونى أن أنتظر حتى الصباح، لكنى لم أطق صبرا..

(تنظر لوبوف أندرييفنا إليه بدهشة)

فـــاريـــا: **(من خلال الدموع)** هذا بيتيا تروفيموف..

تـروفـيـمـوف: بيتيا تروفيموف، المدرس السابق لابنك جريشا.. أحقا تغيرتُ إلى هذه الدرجة؟

(لوبوف أندرييفنا تعانقه وتبكى بصمت)

جـــايـــف: **(مرتبكا)** كفى، كفى يا لوبا.

فـــاريـــا: **(تبكى)** ألم أقل لك يا بيتيا أن تنتظر إلى الصباح.

لوبوف أندرييفنا: جريشا ولدى.. حبيبى.. جريشا.. ابنى..

فـــاريـــا: ما العمل يا ماما. مشيئة الله.

تـروفـيـمـوف: **(بصوت ناعم، من خلال الدموع)** كفى، كفى..

لوبوف أندرييفنا: **(تبكى بصوت خافت)** مات ولدى.. غرق.. لماذا؟ لماذا يا صديقى. **(بصوت أهدأ)** آنيا نائمة هناك وأنا أتحدث بصوت عال.. أثير ضجة.. حسنا يا بيتيا؟ لماذا ساء حالك هكذا؟ لماذا هرمت؟

تـروفـيـمـوف: فى القطار أطلقت علىّ إحدى الفلاحات وصف: السيد الباهت.

لوبوف أندرييفنا: كنت آنذاك صبيا صغيرا، طالبا لطيفا، والآن نسل شعرك، ووضعت نظارة. أما تزال بعد طالبا؟ **(تسير نحو الباب)**

تـروفـيـمـوف: يبدو أننى سأظل طالبا أبديا.

لوبوف أندرييفنا: **(تقبل أخاها، ثم فاريا)** حسنا، اذهبوا لتناموا .. أنت أيضًا هرمت **يا** ليونيد.

بـيـشـيـك: **(يتبعها)** وإذن آن أن ننام.. آه من نقرسى اللعين. سأبيت عندكم.. لوبوف أندرييفنا، يا روحى، لو يعنى صباح الغد.. مائتين وأربعين روبلا..

جـــايـــف: ما زال يردد مواله.

بـيـشـيـك: مائتين وأربعين روبلا.. لتسديد فوائد الرهونات.

لوبوف أندرييفنا: ليس عندى نقود يا عزيزى.

بـيـشـيـك: سأرده يا عزيزتى.. مبلغ تافه..

لوبوف أندرييفنا: طيب، حسنا، ليونيد سيعطيك.. أعطه يا ليونيد.

جـايـف: فليأخذ إن وجد.

لوبوف أندرييفنا: وما العمل، أعطه.. إنه محتاج.. سيرده.

(لوبوف أندرييفنا وتروفيموف وبيشيك وفيرس ينصرفون. يبقى جايف وفاريا وياشا).

جـايـف: لم تنس أختى بعد تبذير النقود **(لياشا)** ابتعد يا حضرة، تفوح منك رائحة الدجاج.

يـاشـا: **(بسخرية)** وأنت يا ليونيد أندرييفتش مازلت مثلما كنت.

جـايـف: من؟ **(لفاريا)** ماذا قال؟

فـاريـا: **(لياشا)** أمك جاءت من القرية، منذ الأمس تجلس فى غرفة الخدم، تريد أن تراك..

يـاشـا: الله يسهل لها!

فـاريـا: يا للوقاحة!

يـاشـا: لم العجلة؟ تستطيع أن تأتى غدًا **(ينصرف)**

فـاريـا: ماما مثلما كانت، لم تتغير أبدا. لو تُركت على حريتها لوزعت كل شىء.

جـايـف: نعم..

(صمت)

إذا اقترح الكثير من الوسائل لعلاج مرض ما، فهذا يعنى أن المرض لا شفاء منه. إننى أفكر، وأجهد عقلى، وعندى الكثير من الوسائل الكثير جدا. وإذن، فعمليا، ليس لدى ولا واحدة. لو أمكن الحصول على ميراث من شخص ما، لو أمكن تزويج آنيا من رجل غنى جدا، لو أمكن الذهاب إلى ياروسلافل لأجرب حظى مع عمتى الكونتيسة. فعمتى غنية، غنية جدا.

فـــاريــــا: **(تبكى)** لو يساعدنا الله.

جـــايـــف: لا تنوحى. عمتى غنية جدا، لكنها لا تحبنا. فأولا: تزوجت أختى من محام، من غير النبلاء..

(آنيا تظهر فى الباب)

تزوجت من رجل غير نبيل، ولم يكن سلوكها، يعنى، يمكن وصفه بالعفة الشديدة. إنها إنسانة جيدة، طيبة، رائعة، وأنا أحبها جدا، ولكن مهما بحثنا عن أعذار مخففة، فلا بد من الاعتراف بأنها فاسدة. ويلوح هذا فى أية حركة منها.

فـــاريــــا: **(هامسة)** آنيا تقف فى الباب.

جـــايـــف: من؟

(صمت)

عجيبة، عينى اليمنى أصابها شىء.. لم أعد أبصر جيدا. يوم الخميس، عندما كنت فى محكمة الناحية..

(آنيا تدخل)

فــــاريــــا: لماذا لا تنامين يا آنيا؟

آنــــيــــا: لا أستطيع. عندى أرق.

جــــايــــف: يا صغيرتى **(يقبل وجه آنيا ويديها)** يا بنيتى..
(من خلال الدموع) أنت لست ابنة أختى، أنت ملاكى، أنت كل شىء بالنسبة لى. صدقينى، صدقينى..

آنــــيــــا: إننى أصدقك يا خالى. الجميع يحبونك، يحترمونك.. ولكن الأفضل، يا خالى، أن تصمت، فقط تصمت. ماذا كنت تقول منذ لحظة عن أمى، عن أختك؟ لأى غرض تقول ذلك؟

جــــايــــف: نعم، نعم.. **(يغطى وجهه بيدها هى)** حقا، هذا فظيع. يا إلهى يا إلهى خلصنى! واليوم ألقيت كلمة أمام الدولاب.. يا للحماقة! لم أدرك أنها حماقة إلا عندما فرغت.

فــــاريــــا: حقا يا خالى، الأفضل أن تصمت. اصمت ولا شىء أكثر.

آنــــيــــا: إذا لزمت الصمت ستشعر بالاطمئنان أكثر.

جــــايــــف: سأصمت. **(يقبل أيدى آنيا وفاريا)** سأصمت.
فقط سأتحدث عن عمل. يوم الخميس كنت فى محكمة الناحية، حسنا، التقيت مجموعة من المعارف، ودار الحديث فى شتى الأمور، ويبدو أنه سيكون من

الممكن الحصول على سلفة بكمبيالات وتسديد الفوائد للبنك.

فـــاريـــا: لو يساعدنا الله!

جـــايـــف: سأسافر يوم الثلاثاء مرة أخرى للتباحث. **(لفاريا)** لا تنوحى. **(لآنيا)** ستتحدث أمك مع لوباخين. لن يرفض طلبها بالطبع.. أما أنت فما إن تستريحى حتى تسافرى إلى ياروسلافل، إلى الكونتيسة، جدتك. وهكذا سنتحرك من ثلاث جهات، وعندئذ فالمسألة مضمونة. سنسدد الفوائد، أنا واثق.. **(يضع حبة كراملة فى فمه)** أقسم لكم بشرفى، بكل ما تريدون، لن تباع الضيعة! **(بانفعال)** أقسم بسعادتى! ها هى يدى، ولتعتبرينى وغدا بلا شرف لو سمحت بإجراء المزاد! أقسم بكل كيانى!

آنـــيـــا: **(عاد إليها المزاج الهادئ، وهى سعيدة)** كم أنت طيب يا خالى، كم أنت ذكى! **(تعانقه)** أنا الآن مطمئنة! أنا مطمئنة! أنا سعيدة!

(يدخل فيرس)

فـــيـــرس: **(بعتاب)** يا ليونيد أندرييفتش، ألا تخاف الله! متى ستنام؟

جـــايـــف: حالا، حالا. اذهب أنت يا فيرس. لا بأس، سأنزع ملابسى بنفسى. طيب يا بناتى، إلى النوم.. التفاصيل غدا، أما الآن فاذهبا لتناما. **(يقبل آنيا وفاريا)** أنا من

جيل الثمانينيات.. لا يمتدحون هذه الفترة ـ ومع ذلك أستطيع القول بأننى عانيت الكثير فى حياتى بسبب المعتقدات ـ ليس صدفة أن الفلاحين يحبوننى. ينبغى أن نعرف الفلاح! ينبغى أن نعرف من أية..

آنـــــيـــــا: عدت ثانية يا خالى!

فـــاريـــا: اسكت يا خالى أرجوك.

فـــيـــرس: **(بغضب)** ليونيد أندرييفتش!

جـــايـــف: خلاص، خلاص.. ناموا. من الجنبين إلى الوسط! اضرب فى المليان.. **(ينصرف، يتبعه فيرس بخطوات قصيرة)**

آنـــــيـــــا: أنا الآن مطمئنة. لا أرغب فى الذهاب إلى ياروسلافل، أنا لا أحب جدتى، ولكنى مطمئنة. شكرا لخالى. **(تجلس)**.

فـــاريـــا: ينبغى أن ننام. سأذهب. في غيابك وقعت مشاحنة ففى غرفة الخدم القديمة كما تعلمين يعيش الخدم الشيوخ فقط يفيموشكا، وبوليا ويفستيجنى ثم كارب. وأخذوا يسمحون لأفاقين ما بالمبيت عندهم، وسكت. ولكنى سمعت أنهم أطلقوا إشاعة، بأننى أمرت بإطعامهم حمصا فقط. من شدة بخلى يعنى.. كل هذا من فعل يفستيجنى.. ليكن، قلت لنفسى، طالما هكذا، فمهلا. ناديت يفستيجنى.. **(تتثاءب)** وجاءنى.. فقلت له: كيف

هذا يا يفستيجنى.. يا لك من أحمق.. **(تنظر إلى آنيا)**
آنيا!..
(صمت)
نامت!.. **(تتأبط ذراع آنيا)** لنذهب إلى الفراش.. هيا!..
(تسحبها) عصفورتى نامت! هيا بنا..

(تسيران)

(بعيدا وراء البستان يعزف راع على مزماره. تروفيموف يمر عبر الخشبة، وإذ يرى فاريا وآنيا يتوقف).

فـــاريـــا: هس.. إنها نائمة.. هيا يا حبيبتى.

آنـــيـــا: **(بصوت خافت، شبه حالمة)** كم أنا متعبة.. ترن الأجراس وترن. خالى.. الرقيق.. وماما وخالى..

فـــاريـــا: هيا يا حبيبتى، هيا.. **(تنصرف إلى غرفة آنيا).**

تـروفـيـمـوف: **(بتأثر)** يا شمسى! يا ربيعى!

(ستار)

الفصل الثانى

(حقل. مصلى قديم متهالك مهجور منذ زمن بعيد بجواراه بئر، وأحجار كبيرة كانت فيما مضى، على ما يبدو، شواهد قبور، وأريكة قديمة. يبدو جزء من الطريق إلى ضيعة جايف. إلى اليمين تلوح أشجار حور باسقة مظلمة، ومن هناك يبدأ بستان الكرز. فى البعيد صف من أعمدة البرق، وبعيدا بعيدا، عند الأفق، تلوح بصورة مبهمة ملامح مدينة كبيرة، لا ترى إلا فى الجو الصحو جدا. قريبا ستغرب الشمس. شارلوتا وياشا ودونياشا جالسون على الأريكة. يبيخودوف يقف بجوارهم ويعزف على الجيتار. الجميع مستغرقون فى التفكير، وشارلوتا ترتدى «كسكتة» قديمة. تنزع بندقية الصيد عن كتفها وتسوى أبزيم الحزام).

شـــارلـــوتـــا: (**بتفكير**) ليس لدىَّ بطاقة شخصية حقيقية، فلا أعرف كم عمرى، ويخيل لى دائما أننى شابة. عندما كنت صبية صغيرة كان أبى وأمى يطوفان بالأسواق ويقدمان عروضا ممتازة. أما أنا فكنت ألعب Salto-Mortale[1]

(١) القفزة المميتة (بالإيطالية)، قفزة بهلوانية جريئة. المعرب.

وغيرها من الألعاب. ولما مات بابا وماما أخذتنى سيدة ألمانية إليها وبدأت تعلمنى. حسنا. ثم كبرت، ثم بدأت أعمل مربية أطفال. ولكن من أين أنا، ومن أنا.. لا أعرف.. من هم والداى، ربما لم يكن زواجهما شرعيا.. لا أدرى (**تستخرج من جيبها خيارة وتأكل**) لا أدرى شيئا.

(**صمت**).

كم أود أن أتحدث، لكن مع من.. ليس لدىَّ أحد.

يبيخـــودوف: (**يعزف على الجيتار ويغنى**) «أنا لا أبالى بالحياة وصخبها، لا فرق بين عداوة وهيام..» ما أجمل العزف على المندولين!

دونـــيـــاشـــا: هذا جيتار وليس مندولين. (**تنظر فى مرآة صغيرة وتضع البودرة**).

يبيخـــودوف: للعاشق الولهان هذا ماندولين.. (**يغنى**) «ما دام حبى يستظل بحبها، وغرام قلبى يلتقى بغرام..».

(**ياشا يرد عليه**).

شـــارلـــوتـــا: ما أفظع غناء هؤلاء.. أف.. كعواء الذئاب.

دونـــيـــاشـــا: (**لياشا**) بالفعل، يا لها من سعادة أن تسافر إلى الخارج.

يـــــاشـــــا: نعم، طبعا. لا يسعنى إلا أن أوافقك (**يتثاءب ثم يشعل سيجارا**).

يبيخـــودوف: معلوم. كل شيء في الخارج تمام التمام من زمان.

يـــاشـــا: طبعا.

يبيخـــودوف: أنا شخص مثقف، أقرأ شتى الكتب الرائعة، لكنني لا أستطيع أبدا أن أحدد الاتجاه، وما الذي أريده في الواقع، وهل أعيش أم أنتحر في الواقع، ومع ذلك أحمل معي دائما مسدسا.. ها هو.. **(يريه المسدس)**.

شـــارلـــوتـــا: خلاص. أنا ذاهبة **(تتقلد البندقية)** أنت يا يبيخودوف شخص ذكي جدا ورهيب جدا، لا بد أن النساء يحببنك بجنون. بررر! **(تسير)** هؤلاء الأذكياء أغبياء كلهم، ولا يوجد من أتحدث معه.. وحدي، وحدي، دائما وحدي، وليس عندي أحد و.. من أنا، لماذا أنا، لا أحد يدري **(تنصرف على مهل)**.

يبيخـــودوف: في الواقع، ودون التطرق إلى جوانب أخرى، ينبغي أن أعرب عن نفسي، فأقول، بالمناسبة، إن القدر يعاملني دون رحمة، كالعاصفة مع مركب صغير. وبافتراض أنني مخطئ، فلماذا إذن، استيقظت صباح اليوم، مثلا، فإذا على صدري عنكبوت رهيب الحجم.. بهذا القدر. **(يشير بكلتا يديه)**. وكذلك، تأخذ الكفاس، لكي تشرب، فإذا بك تجد فيه شيئا ما غير لائق إلى أقصى حد، صرصارا مثلا.

(**صمت**).

هل قرأت بوكل؟[1]

(**صمت**).

أريد أن أزعجك يا أفدوتيا فيودوروفنا فى كلمتين.

دونـيـاشـا: تكلم.

يبيخـودوف: بودى لو بقينا على أنفراد.. (**يتنهد**).

دونـيـاشـا: (**بخجل**) حسنا.. لكن أحضر لى أولا إزارى.. إنه بجوار الدولاب.. الجو هنا رطب قليلا..

يبيخـودوف: حسنا.. سأحضره.. الآن أعرف ماذا أفعل بالمسدس.. (**يتناول الجيتار وينصرف مداعبا الأوتار**).

يـاشـا: هذا العشرون مصيبة! شخص غبى، فيما بيننا. (**يتثاءب**).

دونـيـاشـا: قد ينتحر، لا قدّر الله.

(**صمت**).

أصبحت قلقة، أنزعج دائما. أخذونى طفلة صغيرة لدى السادة، نسيت حياة البسطاء وها هى يداى بيضاوان بيضاوان، كيدى السيدة. أصبحت رقيقة، مهذبة، نبيلة، أخاف كل شىء.. كم أخاف. لو خدعتنى يا ياشا، فلن أعرف ماذا سيحدث لأعصابى.

يـاشـا: (**يقبلها**) يا للتفاحة! بالطبع على كل فتاة أن تحافظ على نفسها، أنا لا أطيق الفتاة السيئة السلوك.

---

(١) هنرى توماس بوكل (١٨٢١-١٨٦٢) مؤرخ وعالم اجتماع إنجليزى. **المعرب**.

دونـــيـــاشـــا: أنا أحببتك بعنف، أنت متعلم، تستطيع أن تتحدث فى أى موضوع.

(صمت).

يـــــاشـــــا: **(يتثاءب)** نعم.. أنا رأيى: إذا كانت الفتاة تحب أحدا، فمعنى هذا أنها بلا أخلاق.

صمت.

ما ألذ أن تدخن سيجارا فى الهواء الطلق.. **(يصيخ السمع)** أحدهم قادم.. إنهم السادة..

(دونياشا تعانقه باندفاع).

عودى إلى البيت، كأنك كنت تستحمين فى النهر، اذهبى من هذا الطريق، وإلا قابلوك وظنوا أنى كنت معك، فى موعد غرامى. أنا لا أطيق ذلك.

دونـــيـــاشـــا: **(تسعل بصوت خافت)** أصبت بصداع من السيجار.. **(تنصرف).**

(ياشا يبقى جالسا بجوار المصلى. تدخل لوبوف أندرييفنا. وجايف ولوباخين).

لـــوبـــاخـــيـــن: ينبغى حسم الأمر، ليس هناك وقت. السؤال بسيط جدا. هل توافقون على تأجير الأرض لإقامة الفيلات؟ أجيبوا بكلمة واحدة. نعم، لا؟ كلمة واحدة فقط!

لوبوف أندرييفنا: من الذى يدخن هنا هذه السيجارات الفظيعة.. **(تجلس).**

جـــــايـــــف ها قد مدوا السكة الحديدية فأصبح كل شىء سهلا

(يجلس) سافرنا إلى المدينة وأفطرنا.. الصفراء إلى الوسط! بودى أن أذهب إلى البيت أولا، لألعب دورا..

لوبوف أندرييفنا: فى الوقت متسع.

لوباخين: كلمة واحدة فقط! **(ضارعا)** أعطونى ردا!.

جايف: **(متثائبا)** من؟

لوبوف أندرييفنا: **(تنظر فى حافظة نقودها)** بالأمس كانت النقود كثيرة، واليوم قليلة للغاية. مسكينة فاريا، تطعم الجميع حساء اللبن توفيرا، ولا تقدم للخدم العجائز سوى الحمص، وأنا أبذر بلا معنى. **(تسقط منها الحافظة، تتبعثر النقود الذهبية)** أوه: تبعثرت.. **(تشعر بالأسى)**.

ياشا: بعد إذنك، سأجمعها حالا.. **(يجمع النقود)**.

لوبوف أندرييفنا: لو تكرمت يا ياشا. ما الذى جعلنى أسافر للإفطار.. ما أحقر مطعمكم بموسيقاه، والمفارش تفوح منها رائحة الصابون.. لماذا تفرط فى الشراب يا لونيا؟ لماذا تفرط فى الأكل؟ لماذا تفرط فى الكلام إلى هذا الحد؟ اليوم تحدثت فى المطعم مرة أخرى كثيرا وبلا مناسبة. عن السبعينيات، عن أدباء الانحطاط. ولمن؟ لخدم المطعم تتحدث عن أدباء الانحطاط!.

لوباخين: نعم.

جايف: **(يشيح بيده)** لا أمل فى إصلاحى، هذا واضح.. **(لياشا بعصبية)** ما هذا، ما لك تدور دوما أمام عينىّ..

ياشا: **(يضحك)** لا أستطيع أن أسمع صوتك دون أن أضحك.

جايف: **(لأخته)** إما أنا، وإما هو..

لوبوف أندرييفنا: اذهب، ياشا، انصرف..

ياشا: **(يعطى الحافظة للوبوف أندرييفنا)** سأذهب حالا. **(يمنع نفسه من الضحك بالكاد)** حالا.. **(ينصرف)**.

لوباخين: الثرى ديريجانوف ينوى شراء ضيعتكم. يقال إنه سيحضر المزاد بنفسه..

لوبوف أندرييفنا: وأين سمعت ذلك؟

لوباخين: فى المدينة يتحدثون.

جايف: العمة فى ياروسلافل وعدت بإرسال نقود، ولكن متى، وكم، لا نعرف..

لوباخين: كم سترسل؟ مائة ألف؟ مائتى ألف؟

لوبوف أندرييفنا: لا.. عشرة أو خمسة عشر ألفا.. ولها الشكر.

لوباخين: عفوا يا سادة ولكنى لم أر بعد أناسا مستهترين، أناسا غير عمليين، وغريبين مثلكم. يقال لكم بالروسية إن ضيعتكم ستباع، وأنتم كأنما لا تفهمون.

لوبوف أندرييفنا: وماذا نفعل؟ علمنا، ما العمل؟

لوباخين: كل يوم أعلمكم. كل يوم أقول لكم نفس الشىء لا بد من تأجير بستان الكرز والأرض لبناء الفيلات، لا بد من القيام بذلك الآن، بسرعة، فالمزاد أوشك!

أفهموا! بمجرد أن تقرروا قرارا نهائيا وبشكل قاطع إقامة الفيلات ستمنحون أى مبلغ تريدون، وهكذا فقد نجوتم.

لوبوف أندريفنا: الفيلات، والمصطافون.. يا لها من وضاعة، عفوا.

جـــايـــف: أتفق معك تماما.

لـوبـاخـيـن: إما سأنتحب، أو أصرخ، أو يغمى عليّ. لا أستطيع! عذبتمونى! **(لجايف)** أنت امرأة!

جـــايـــف: من؟

لـوبـاخـيـن: امرأة! **(يهم بالانصراف)**.

لوبوف أندريفنا: **(بجزع)** كلا، لا تذهب ابق يا عزيزى. أرجوك. ربما وجدنا حلا ما!

لـوبـاخـيـن: عن أى حل تبحثين!

لوبوف أندريفنا: لا تذهب أرجوك.. الجو معك أكثر مرحا مع ذلك.. **(صمت)**.

طوال الوقت أتوقع شيئا ما كأنما سينهار السقف علينا.

جـــايـــف: **(مستغرقا فى التفكير)** دوبليه إلى الزاوية.. كروازيه إلى الوسط.

لوبوف أندريفنا: ما أكثر ما ارتكبنا من ذنوب..

لـوبـاخـيـن: أية ذنوب عندك...

جـــايـــف: **(يضع حبة كراملة فى فمه)** يقولون إننى بددت ثروتى كلها على الكراملة.. **(يضحك)**.

لوبوف أندريفنا: أوه، ذنوبى.. كنت دائما أبذر النقود بتهور، كالمجنونة، وتزوجت من رجل لم يصنع سوى الديون فقط. مات زوجى من الشمبانيا، كان يشرب بفظاعة، ولتعاستى أحببت رجلا آخر، وعاشرته، وفى هذا الوقت بالذات. كان ذلك أول عقاب ـ ضربة فى الرأس مباشرة ـ هنا، فى النهر.. غرق ابنى، فسافرت إلى الخارج، سافرت نهائيا لكى لا أعود أبدا، ولا أرى هذا النهر.. أغمضت عينىّ، وركضت، وأنا لا أعى شيئا، وإذا به يتبعنى.. بلا رحمة، بفظاظة. اشتريت فيلا قرب منتونا لأنه مرض هناك، وطوال ثلاث سنوات لم أذق الراحة نهارا أو ليلا. عذبنى المريض، روحى ذبلت.. وفى العام الماضى، عندما بيعت الفيلا سدادا للديون، سافرت إلى باريس، وهناك نهبنى، ثم هجرنى، وصاحب أخرى، فحاولت الانتحار.. يا للحماقة، يا للخزى.. وفجأة أحسست بالشوق إلى روسيا، إلى الوطن، إلى ابنتى.. **(تمسح دموعها)** يا إلهى، يا إلهى الرحمة، اغفر لى ذنوبى! لا تعاقبنى أكثر! **(تخرج من جيبها برقية)** تسلمتها اليوم، من باريس.. يرجو الغفران، ويتوسل أن أعود.. **(تمزق البرقية)** هناك موسيقى تتردد فيما يبدو **(تصيخ السمع)**.

جـــــايـــــف: إنها فرقتنا اليهودية الشهيرة. أتذكرين أربع كمنجات، فلاوت وكونترا باس.

لوبوف أندرييفنا: أما زالت موجودة؟ لو أمكن دعوتها إلينا يوما ما، لإقامة حفلة.

لـــوبــاخـــيـــن: (**يصيخ السمع**) لا أسمع شيئا.. (يدندن **بصوت خافت**) «وبالنقود يُفَرنس الألمان روسيا»، (**يضحك**) يا لها من مسرحية رأيتها أمس فى المسرح، مضحكة جدا.

لوبوف أندرييفنا: لا أظن أنها مضحكة أبدا. ليس لك أن ترى المسرحيات، بل أن تنظر إلى نفسك أكثر. أية حياة رمادية تعيشون أنتم جميعًا، وما أكثر ما تقولون من أشياء لا لزوم لها.

لـــوبــاخـــيـــن: هذا صحيح. لا بد من القول صراحة، إن حياتنا حمقاء..

(صمت)

كان والدى فلاحا، أبله، لم يكن يفقه شيئا فلم يعلمنى، بل كان يضربنى كلما شرب، ودائما بالعصا. وفى الواقع فأنا مثله مغفل وأبله. لم أتعلم شيئا، وخطى فظيع، أكتب كالخنزير، حتى لأشعر بالخزى من الناس.

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى أن تتزوج يا صديقى.

لـــوبــاخـــيـــن: نعم.. هذا صحيح.

لوبوف أندرييفنا: من فتاتنا فاريا. إنها بنت طيبة.

لـــوبــاخـــيـــن: نعم.

لوبوف أندرييفنا: إنها من البسطاء، تعمل طول النهار، والمهم أنها تحبك. ثم أنها تعجبك أنت أيضا من زمان.

لوباخين: طيب.. لا مانع عندى.. إنها فتاة طيبة.

(صمت)

جايف: يعرضون عليّ وظيفة فى البنك. بمرتب ستة آلاف فى السنة.. هل سمعتِ؟

لوبوف أندرييفنا: أين أنت وهذا. أجلس هنا..

(يدخل فيرس. أحضر المعطف).

فيرس: (لجايف) تفضل يا سيدى، ارتد المعطف، فالجو رطب.

جايف: **(يرتدى المعطف)** كم أضجرتنى يا أخى.

فيرس: دعك من هذا.. سافر صباحا دون أن يقول. **(يتفحصه)**.

لوبوف أندرييفنا: كم هرمت يا فيرس!

فيرس: أى خدمة؟

لوباخين: تقول إنك هرمت جدا!

فيرس: أعيش من زمان. عندما أرادوا أن يزوجونى لم يكن أبوك قد ولد بعد.. **(يضحك)** وعندما ألغيت القنانة كنت أنا وصيفا أول. ولم أوافق على إعتاقى، وبقيت لدى السادة..

(صمت)

أذكر أن الجميع كانوا فرحين، ولكن لماذا، لا أحد يعرف.

لـوبـاخـيـن: كانت الأمور حسنة جدا فى الماضى كانوا على الأقل يجلدون.

فـيـرس: **(لم يسمع)** وكيف لا. الفلاحون مع السادة، والسادة مع الفلاحين، أما الآن فتفرق كل شىء، لا تفهم شيئا.

جـايـف: أسكت يا فيرس. علىّ أن أرحل غدا إلى المدينة. وعدونى بتعريفى بجنرال، يمكن أن يقرض بكمبيالة.

لـوبـاخـيـن: لن تتوصل إلى شىء، ولن تسددوا الدين، أؤكد لكم.

لوبوف أندرييفنا: إنه يهذى. ليس هناك أى جنرالات.

(يدخل تروفيموف وآنيا وفاريا).

جـايـف: ها هم أبناؤنا قادمون.

آنـيـا: ها هى ماما.

لوبوف أندرييفنا: **(برقة)** تعالى، تعالى.. يا أحبائى.. **(تضم آنيا وفاريا)** آه لو تعلمان كم أحبكما. اجلسا بجوارى. ها هنا.

(الجميع يجلسون).

لـوبـاخـيـن: طالبنا الخالد يسير دائما مع الآنسات.

تـروفـيـمـوف: ليس هذا شأنك.

لـوبـاخـيـن: قريبا يبلغ الخمسين، ولا يزال بعد طالبا.

تـروفـيـمـوف: كف عن مزاحك الأحمق.

لـوبـاخـيـن: يا لك من عجيب، لِمَ تغضب؟

تـروفـيـمـوف: لا تتحرش بى.

لـوبـاخـيـن: **(يضحك)** فلتسمح لى أن أسألك، ما رأيك فىّ؟

تـروفـيـمـوف: إننى أفكر هكذا يا يرمولاى أليكسييتش: أنت رجل غنى، عما قريب ستصبح مليونيرا. وكما أن الوحش الكاسر الذى يلتهم كل ما يصادفه فى طريقه، هو ضرورى فى عملية التمثيل الغذائى، فأنت أيضا ضرورى.

(الجميع يضحكون).

فـــاريـــا: الأفضل يا بيتيا أن تحدثنا عن الكواكب.

لوبوف أندرييفنا: كلا، هيا نواصل حديث الأمس.

تـروفـيـمـوف: عم تحدثنا؟

جـــايـــف: عن الإنسان الأبىّ.

تـروفـيـمـوف: تحدثنا بالأمس طويلا، لكننا لم نتفق على شىء. فى الإنسان الأبى، بمفهومكم، ثمة شىء غيبى. وربما كنتم على حق من وجهة نظركم، ولكن لو تكلمنا ببساطة، ودون حذلقات، فأى إباء هناك، وأى معنى له، إذا كان الإنسان مركبا فسيولوجيا بطريقة سيئة، وإذا كان، فى غالبيته الساحقة فظا، غير ذكى، تعيسا للغاية. كفى إعجابا بالنفس. ينبغى فقط أن نعمل.

جـــايـــف: ما الفائدة، سنموت.

تـروفـيـمـوف: من يدرى؟ ثم ما معنى «سنموت»؟ ربما كان لدى الإنسان مائة حاسة، وبالموت تموت فقط الحواس الخمس، المعروفة لنا، أما الخمس والتسعون الباقية، فتظل حية.

لوبوفأندرييفنا: كم أنت ذكى يا بيتيا!..

لـوبـاخـيـن: (**بسخرية**) جدا!

تـروفـيـمـوف: البشرية تتقدم وهى تطور قواها. وكل ما هو صعب المنال الآن سيصبح فى وقت ما قريبا، مفهوما، ينبغى فقط أن نعمل، وأن نساعد بكل قوانا كل من يبحث عن الحقيقة. عندنا فى روسيا، حتى الآن، لا يعمل إلا القليلون جدا. أما الغالبية الساحقة من المثقفين الذين أعرفهم فلا يبحثون عن شىء، ولا يفعلون شيئا، وغير قادرين على العمل بعد. يسمون أنفسهم مثقفين ثم يخاطبون الخدم بـ «أنـت»، ويعاملون الفلاحين معاملة الحيوانات، ويتعلمون بصورة سيئة، ولا يقرأون أى شىء بجدية، ولا يفعلون شيئا على الإطلاق، وعن العلم يتحدثون فقط، ولا يفهمون فى الفن إلا القليل. والجميع يبدون جديين، وعلى وجوههم ملامح الصرامة، الجميع لا يتحدثون إلا عما هو هام ويتفلسفون، بينما على مرأى منهم جميعا يأكل العمال أسوأ طعام، وينامون دون وسائد، ثلاثين

أو أربعين شخصا فى الغرفة الواحدة، ومن حولهم البق، والعفونة، والرطوبة، والقذارة الأخلاقية.. ومن الواضح أن كل الأحاديث الجيدة عندنا لا تهدف إلا إلى صرف أنظارنا وأنظار الآخرين. أرونى أين هى دور الحضانة التى يفيضون فى الحديث عنها كثيرا، أين قاعات المطالعة؟ لا تجدها إلا فى الروايات فقط، أما فى الواقع فلا وجود لها. ليس هناك سوى القذارة والابتذال والهمجية.. أنا أخاف السحنات الجدية جدا ولا أحبها، أخاف الأحاديث الجدية. الأفضل أن نصمت!

لـوبـاخـيـن: أتدرى، أنا أستيقظ قبل الخامسة صباحا. وأعمل من الصباح إلى المساء، حسنا، ومعى دائما نقود، نقودى ونقود الآخرين، وأرى أى أناس من حولى. ينبغى فقط أن تبدأ بعمل ما حتى تدرك كم هم قليلون الأشخاص الشرفاء المستقيمون. وأحيانا، عندما ينتابنى الأرق، أفكر: «يا إلهى، لقد أعطيتنا غابات هائلة، وحقولاً لا تحد، وآفاقا لا نهائية، ومن المفروض، ونحن نعيش هنا، أن نكون عمالقة بحق..»

لوبوف أندرييفنا: أنت بحاجة إلى عمالقة.. إنهم جيدون فى الحكايات فقط، أما فى الواقع فمخيفون.

(فى عمق خشبة المسرح يمر يبيخودوف وهو يعزف على الجيتار)

(بتفكير) يبيخودوف يسير..

آنـــــيـــــا: **(بتفكير)** يبيخودوف يسير..

جـــايـــف: الشمس غربت يا سادة.

تـروفـيـمـوف: نعم.

جـــايـــف: **(بصوت خافت، كأنما يلقى)** أيتها الطبيعة الساحرة، أنت تتوهجين ببريق خالد، رائعة ولامبالية، أنت التى نسميك أمنا، تجمعين بين الوجود والعدم، أنت تعيشين وتدمرين..

فـــاريـــا: **(بصوت ضارع)** خالى!

آنـــــيـــــا: خالى، عدت ثانية!

تـروفـيـمـوف: الأفضل أن تضرب الصفراء فى الوسط دوبليه.

جـــايـــف: قد سكّت، سكت.

(يجلس الجميع مستغرقين فى التفكير. سكون. لا تسمع إلا همهمة فيرس الخافتة. فجأة يتردد صوت بعيد، كأنما من السماء، صوت وتر تمزق، حزينا، متلاشيا).

لوبوف أندرييفنا: ما هذا؟

لـوبـاخـين: لا أدرى. يبدو أن سطلا وقع بعيدا فى المناجم. ولكن فى مكان بعيدا جدا.

جـــايـــف: أو ربما كان طائرا ما.. مثل مالك الحزين.

تـروفـيـمـوف: أو بومة..

لوبوف أندرييفنا: **(تنتفض)** أحس بضيق، لست أدرى لماذا.

(صمت)

فـــيــــرس: قبيل المصيبة وقع مثل هذا.. صاحت بومة، وأز السماور دون توقف.

جـــايــــف: قبيل أية مصيبة؟

فـــيــــرس: قبيل إلغاء القنانة.

(صمت)

لوبوف أندرييفنا: حسنا يا أصدقاء هيا بنا، المساء حل **(لآنيا)** أرى دموعا في عينيك.. ماذا بك يا بنيتي؟ **(تضمها)**

آنــــيـــــا: هكذا يا ماما، لا شيء.

تـروفـيـمـوف: أحدهما قادم.

(يظهر عابر سبيل في عمرة بيضاء رثة، يرتدي معطفا، ثمل. قليلا)

عابـر السـبيل: اسمحوا لي أن أسألكم: هل أستطيع الذهاب من هنا إلى المحطة مباشرة؟

جـــايــــف: نعم تستطيع. سر في هذا الطريق.

عابـر السـبيل: أشكركم من صميم القلب **(يسعل)** الطقس رائع.. **(يلقي)** يا أخي، يا أخي المعذب.. اخرج إلى الفولجا.. أتسمع الأنين.. **(لفاريا)** مودموازيل، تصدقي على روسي جائع بثلاثين كوبيكا..

(فاريا تفزع فتصرخ)

لـوبـاخـيـن: **(بغضب)** قلة الذوق تبقى في حدود الأدب!

لوبوف أندرييفنا: **(بهلع)** خذ.. هذا لك.. **(تبحث في حافظة النقود)** ليس هناك فضة.. سيان، خذ ذهبا..

عابر السبيل: أشكركم من صميم القلب! **(ينصرف)**

(ضحك)

فـــاريـــا: **(فزعة)** أنا ذاهبة.. أنا ذاهبة.. آه يا ماما، الخدم لا يجدون ما يأكلونه فى البيت، وأنت تعطينه ذهبا.

لوبوف أندرييفنا: ما العمل مع حمقاء مثلى! فى البيت سأعطيك كل ما عندى. يرمولاى أليكسييتش، أقرضنى ثانية!..

لـوبـاخـيـن: حاضر.

لوبوف أندرييفنا: هيـا يا سـادة، حـان الوقت. لقـد خطبنـاك هنا تماما يا فاريا، أهنئك.

فـــاريـــا: **(من خلال الدموع)** لا يجوز المزاح بهذا يا أماه.

لـوبـاخـيـن: أوخميليا، أذهبى إلى الدير..

جـــايـــف: يداى ترتعشان.. من زمان لم ألعب البلياردو.

لـوبـاخـيـن: أوخميليا، أيتها الحورية، اذكرينى فى صلواتك![1]

لوبوف أندرييفنا: هيا يا سادة. العشاء عما قريب.

فـــاريـــا: كم أفزعنى. قلبى يدق بعنف.

لـوبـاخـيـن: أذكركم يا سادة.. فى الثانى والعشرين من أغسطس سوف يباع بستان الكرز. فكروا فى ذلك!.. فكروا!

(ينصرف الجميع ما عدا تروفيموف وآنيا)

آنـــيـــا: **(ضاحكة)** شكرا لعابر السبيل، أفزع فاريا، فأصبحنا وحدنا.

---

(١) لوباخين يستشهد بعبارات من مسرحية «هملت» لشكسبير، إلا أنه يحرف اسم «أوفيليا» إلى «أوخميليا». **المعرب.**

تـروفـيـمـوف: فاريا تخشى أن نحب بعضنا بعضا، ولذلك لا تتركنا وحدنا. إنها لا تستطيع بعقلها الضيق أن تفهم أننا أسمى من الحب. أن نتجنب تلك التوافه والأوهام التى تعوقنا عن أن نكون أحرارا وسعداء.. هذا هو هدف حياتنا ومغزاها. إلى الأمام! إننا نمضى دون هوادة إلى النجم الساطع الذى يضىء فى الأفق! إلى الأمام! لا تتخلفوا يا أصدقاء!

آنـــــيـــــا: **(تشيح بيديها)** ما أروع كلماتك!

(صمت)

الجو هنا ساحر اليوم!

تـروفـيـمـوف: نعم، الجو مدهش.

آنـــــيـــــا: ماذا فعلت بى يا بيتيا حتى لم أعد أحب بستان الكرز كما فى السابق. كنت أحبه برقة، وكان يخيل إلىَّ أنه لا يوجد فى الأرض مكان أفضل من بستاننا.

تـروفـيـمـوف: روسيا كلها بستاننا. الأرض كبيرة ورائعة، وفيها الكثير من الأماكن الساحرة.

(صمت)

فكرى يا آنيا.. جدك، وأبو جدك، وكل أسلافك كانوا إقطاعيين، يملكون النفوس الحية.. انظرى إلى البستان، ألا ترين مخلوقات بشرية تحدق فيك من كل شجرة كرز، من كل ورقة، من كل جذع، ألا تسمعين

أصواتهم.. إن تملك النفوس الحية هو الذى أفسدكم جميعا، من عاش قبلا، ومن يعيش الآن، حتى إنكم لا تلاحظون،لا أمك، ولا أنت، ولا خالك، أنكم تعيشون بالدين، على حساب الغير، على حساب أولئك الأشخاص الذين لا تسمحون لهم بتجاوز مدخل بيتكم.. لقد تخلفنا مائتى عام على الأقل، وليس لدينا بعد أى شيء على الإطلاق، ليس لدينا موقف واضح من الماضى، إننا نتفلسف فقط، ونشكو من الوحشة أو نشرب الفودكا. ولكن من الواضح تماما أنه لكى نبدأ الحياة فى الحاضر، علينا أولا أن نكفّر عن ماضينا، أن نفرغ منه، ولن يمكن التكفير عنه إلا بالعذاب وحده، بالكد الفائق والمستمر فحسب. افهمى هذا يا آنيا.

آنـــــيــــــا: البيت الذى نسكنه لم يعد بيتنا من زمان، وسأرحل عنه، أعدك بذلك.

تـروفـيـمـوف: إذا كانت مفاتيح الكرار لديك، ألقى بها فى البئر وارحلى. كونى حرة كالريح.

آنـــــيــــــا: **(بإعجاب)** ما أروع ما قلت!

تـروفـيـمـوف: صدقينى يا آنيا، صدقينى! أنا لم أبلغ الثلاثين بعد، مازلت شابا، ما زلت طالبا، ولكن كم قاسيت! كل شتاء أجوع، وأمرض، وأصبح مهموما، فقيرا كشحاذ و.. ما أكثر ما ألقت بى المقادير، وكم طفت بأماكن!

ولكن روحى ظلت دائما، فى كل لحظة ليلا ونهارا، مفعمة بالهواجس الغامضة. إننى أشعر باقتراب السعادة يا آنيا، ها أنذا أراها..

آنـــيـــا: **(مستغرقة فى التفكير)** طلع القمر.

(يسمع عزف يبيخودوف على الجيتار، نفس اللحن الحزين يطلع القمر. فاريا تبحث عن آنيا قرب أشجار الحور وتنادى):

«آنيا، أين أنت؟»

تـروفـيـمـوف: نعم، طلع القمر.

(صمت)

ها هى السعادة، ها هى تسير، تقترب أكثر فأكثر، إننى أسمع خطواتها. فإذا لم نرها، لم نخبرها، لا يهم. سيراها غيرنا!

(صوت فاريا: «آنيا، أين أنت؟»)

فاريا هذه مرة أخرى! **(بغضب)** يا للصفاقة!

آنـــيـــا: ما العمل؟ هيا بنا إلى النهر. المكان هناك لطيف.

تـروفـيـمـوف: هيا بنا.

(يذهبان)

صوت فاريا: «آنيا! آنيا!»

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة جلوس يفصلها عن الصالة قوس. النجفة مضاءة. يسمع فى المدخل عزف الفرقة اليهودية التى ورد ذكرها فى الفصل الثانى. الوقت مساء. فى الصالة يرقصون grand-rond. صوت سيميونوف ـ بيشيك «Promenade à une Paire!» يخرجون من الصالة إلى غرفة الجلوس أزواجا: الزوج الأول بيشيك وشارلوتا إيفانوفنا، الزوج الثانى تروفيموف ولوبوف أندرييفنا، الزوج الثالث آنيا مع موظف بريد، الزوج الرابع فاريا مع ناظر المحطة... إلخ. فاريا تبكى بصوت خافت، وتمسح دموعها أثناء الرقص. فى الزوج الأخير دونياشا. يسيرون عبر غرفة الجلوس، بيشيك يصيح: «Grand-rond, balancez!» و«Les cavaliérs à genoux et remerciez vos dames!»[1] فيرس مرتديا الفراك يحمل المياه المعدنية على صينية. يدخل غرفة الجلوس بيشيك وتروفيموف).

بـيـشـيـك: أنا ممتلئ الدم، أصبت بالسكتة مرتين، والرقص صعب علىّ، لكن، كما يقال، بين كلاب الصيد إذا

(١) أسماء حركات رقصة. grand-rond («الحلقة الكبيرة») بالفرنسية. المعرب.

لم تنبح فحرك ذيلك. إننى قوى كحصان. المرحوم والدى، كان مازحا، عليه الرحمة، كان يدعى بخصوص أصلنا أن سلالة سيميونوف بيشيك العريقة تنحدر، حسبما قال، من ذلك الحصان الذى عينه كاليجولا فى مجلس الشيوخ[1]... **(يجلس)** لكن المصيبة أنى مفلس! الكلب الجائع لا يحلم إلا باللحم.. **(ينعس ويشخر، ويستيقظ على الفور)** وهكذا أنا.. لا أستطيع أن أتكلم إلا عن النقود..

تـروفـيـمـوف: بالفعل هناك فى هيئتك شىء حصانى.

بــيــشــيــك: لا بأس.. الحصان حيوان طيب.. الحصان يمكن بيعه..

(يسمع صوت اللعب بالبلياردو فى الغرفة المجاورة. تظهر فاريا فى الصالة تحت القوس)

تـروفـيـمـوف: **(يغيظها)** مدام لوباخينا! مدام لوباخينا!..

فـــاريـــا: **(بغضب)** السيد الباهت!

تـروفـيـمـوف: نعم، أنا سيد باهت، وأفخر بذلك!

فـــاريـــا: **(بتفكير مرير)** ها قد استأجروا العازفين، فمن أين ندفع لهم؟ **(تنصرف)**.

تـروفـيـمـوف: **(لبيشيك)** لو أن المجهود الذى بذلته طوال حياتك بحثا عن النقود لسداد فوائد الديون، كرسته لشىء آخر، لاستطعت غالبا فى نهاية الأمر أن تقلب الأرض.

---

(١) كاليجولا ـ إمبراطور رومانى (١٢ـ ٤١ بعد الميلاد) اشتهر بقسوته وتبذيره. أراد أن يظهر احتقاره لمجلس شيوخ روما فعين حصانه قنصلا. **المعرب**.

بــيــشــيــك: نيتشه.. من أعظم الفلاسفة وأشهرهم.. رجل جبار العقل.. يدعى فى مؤلفاته أنه يجوز صنع النقود المزيفة.

تـروفـيـمـوف: وهل قرأت نيتشه؟

بــيــشــيــك: يعنى.. داشنكا أخبرتنى. أنا الآن فى وضع لا يبقى لى فيه إلا أن أزيف النقود.. علىّ أن أسدد بعد غد ثلاثمائة وعشرة روبلات.. دبرت منها مائة وثلاثين.. (يتحسس جيوبه، يقول بقلق) النقود ضاعت! ضيعت النقود! **(من خلال الدموع)** أين النقود؟ **(بفرح)** ها هى، خلف البطانة.. أوه، لقد عرقت..

(تدخل لوبوف أندرييفنا وشارلوتا إيفانوفنا)

لوبوف أندرييفنا: **(تدندن رقصة ليزجنكا)**[1] لماذا تأخر ليونيد إلى هذا الحد؟ ماذا يفعل فى المدينة؟ **(لدونياشا)** دونياشا، قدمى الشاى للعازفين..

تـروفـيـمـوف: يبدو أن المزاد لم يتم فى الغالب.

لوبوف أندرييفنا: جاء الموسيقيون فى غير وقتهم والحفل أقمناه فى غير وقته.. لا بأس.. **(تجلس وتدندن بصوت خافت)**.

شــارلــوتــا: **(تقدم لبيشيك شدة أوراق لعب)** خذ شدة الأوراق. اختر لنفسك ورقة سرا.

بــيــشــيــك: اخترت.

---

(١) رقصة قوقازية سريعة الإيقاع. **المعرب**.

شـــارلـــوتـــا: فنط الشدة إذن. عظيم جدا. أعطها لى يا سيدى العزيز بيشيك. Ein, zwei. drei![1]. والآن ابحث عنها فى جيب سترتك..

بــيـــشـــيـــك: **(يستخرج الورقة من جيبه)** الثمانية البستونى، بالضبط! **(مندهشا)** يا سلام!.

شـــارلـــوتـــا: **(تضع الشدة على راحتها، لتروفيموف)** قل بسرعة، أية ورقة فى الأعلى؟

تـروفـيـمـوف: حسنا.. لنقل، البنت البستونى.

شـــارلـــوتـــا: بالضبط! **(لبيشيك)** هه؟ أية ورقة فى الأعلى؟

بــيــشــيــك: الآس الكوبة.

شـــارلـــوتـــا: بالضبط! **(تضرب على راحتها فتختفى شدة الأوراق)** ما أجمل الجو اليوم!

(يرد عليها صوت نسائى غامض، كأنما من تحت الأرض):

«أوه، نعم يا سيدتى، الطقس رائع».

ما أجملك يا مثالى الأعلى..

الـــصـــوت: «وأنت يا سيدتى أعجبتنى جدا».

ناظر المحطة: **(مصفقا)** السيدة المتكلمة من بطنها، برافوا!

بــيــشــيــك: **(مندهشا)** يا سلام! شارلوتا إيفانوفنا الساحرة.. أنا وقعت فى حبك..

شـــارلـــوتـــا: وقعت فى حبى؟ **(تهز كتفيها)** وهل أنت قادر

---

(١) واحد،، اثنان، ثلاثة ـ بالألمانية فى الأصل.

على الحب؟ Guter Mensch, aber schlechter[1] Musikant

تروفيموف: **(يربت على كتف بيشيك)** يا لك من حصان..

شارلوتا: أرجو الانتباه، نمرة أخرى **(تناول حراما من على الكرسى)** ها هو حرام جيد جدا، أريد أن أبيعه.. **(تنفضه)** ألا يرغب أحدكم أن يشتريه؟

بيشيك: **(مندهشا)** يا سلام!

شارلوتا: !Ein, zwei, drei **(ترفع الحرام المدلى بسرعة. خلف الحرام تقف آنيا. تحيى بانحناءة، وتجرى نحو أمها فتعانقها ثم تعود إلى الصالة ركضا يصاحبها إعجاب الجميع).**

لوبوف أندرييفنا: **(مصفقة)** برافو، برافو!..

شارلوتا: ونمرة أخرى !Ein, zwei, drei **(ترفع الحرام. خلف الحرام تقف فاريا وهى تحيى بانحناءة).**

بيشيك: **(مندهشا)** يا سلام!

شارلوتا: خلاص! **(تلقى بالحرام على بيشيك، وتحيى بانحناءة، وتركض إلى الصالة).**

بيشيك: **(يسرع وراءها)** العفريتة... أرأيتم؟ أرأيتم؟ **(يخرج).**

لوبوف أندرييفنا: ليونيد لم يعد للآن. ما الذى يفعله فى المدينة كل هذه المدة، لا أفهم! لقد انتهى كل شىء هناك، والضيعة بيعت. أو لم يجر المزاد، فلماذا يجعلنى أتخبط فى الجهل طول هذه المدة!

---

(١) رجل طيب ولكن موسيقار سيىء. (بالألمانية فى الأصل).

فـــــاريـــــا: **(تحاول طمأنتها)** خالى اشتراها، أنا واثقة.

تـروفـيـمـوف: **(باستهزاء)** نعم.

فـــــاريـــــا: الجدة أرسلت له توكيلا ليشترى باسمها مع تحويل الديون إليها. فعلت هذا من أجل آنيا. وأنا واثقة، إن شاء الله، خالى سيشترى الضيعة.

لوبوف أندرييفنا: الجدة فى ياروسلافل أرسلت خمسة عشر ألفا لشراء الضيعة باسمها، فهى لا تثق بنا، ولكن هذا المبلغ لا يكفى حتى لسداد الفوائد. **(تغطى وجهها بيديها)** مصيرى يتقرر اليوم، مصيرى...

تـروفـيـمـوف: **(يغيظ فاريا)** مدام لوباخينا!

فـــــاريـــــا: **(بغضب)** الطالب الأبـدى! طـردوك مرتين من الجامعة.

لوبوف أندرييفنا: مالك تغضبيـن يا فاريـا؟ لأنه يغيظـك بلوباخين، وماذا فى ذلك؟ إذا شئت تزوجيه، إنه شخص طيب، طريف، وإذا لم تشائى لا تتزوجيه لا أحـد يرغمك ياروحى...

فـــــاريـــــا: أنا أنظر إلى هذه المسألة بجدية يا ماما، وإذا شئت الصراحة. إنه رجل طيب، يعجبنى.

لوبوف أندرييفنا: إذن تزوجيه. فيم الانتظار، لست أفهم!

فـــــاريـــــا: ماما، لا يمكن أن أتقدم أنا لخطبته. منذ سنتين والجميع يحدثوننى عنه، الجميع ولكنه إما يسكت وإما يمزح. أنا

فاهمة، إنه يجمع الثروة، مشغول بعملة عنى، لا وقت عنده. آه لو معى نقود، ولو قليلا، ولو مائة روبل، لتركت كل شيء ورحلت بعيدا. لدخلت الدير.

تـروفـيـمـوف: يا للجلال!

فـــــاريـــــا: **(لتروفيموف)** على الطالب أن يكون ذكيا! **(بنبرة ناعمة، وهى تبكى)** كم أصبحت قبيحا يا بيتيا، كم هرمت! **(للوبوف أندرييفنا، وقد كفت عن البكاء)** لكنى لا أستطيع البقاء بلا عمل يا ماما.. يلزمنى فى كل لحظة أن أعمل شيئا ما.

(يدخل ياشا)

يـــــاشـــــا: **(لا يكاد يقوى على كتم ضحكه)** يبيخودوف كسر عصا البلياردو!.. **(ينصرف)**.

فـــــاريـــــا: ولماذا يبيخودوف هنا؟ من سمح له بلعب البلياردو؟ لا أفهم هؤلاء الناس.. **(تنصرف)**.

لوبوف أندرييفنا: لا تغظها يا بيتيا، ألا ترى، يكفيها ما هى فيه من همّ.

تـروفـيـمـوف: إنها مجتهدة جدا، تحشر أنفها فيما لا يخصها. طوال الصيف لم تتركنا لحظة، لا أنا ولا آنيا، كانت تخشى أن تنشأ بيننا علاقة غرامية. ماشأنها؟ ثم إنه لم يبدر منى شيء، إننى جد بعيد عن الابتذال. نحن أسمى من الحب!

لوبوف أندرييفنا: أما أنا، فالظاهر، أدنى من الحب. **(فى قلق شديد)** لماذا

تأخر ليونيد؟ لو أعرف فقط هل بيعت الضيعة أم لا؟ المصيبة تبدو لى غير محتملة إلى درجة أننى لا أعرف حتى كيف أفكر، عقلى يتشتت.. قد أصرخ الآن.. قد أرتكب حماقة. أنقذنى يا بيتيا. قل شيئا، قل..

تروفيموف: أليس سيان أن بيعت الضيعة اليوم أو لم تبع؟ لقد انتهى أمرها من زمان، ولا عودة إلى الوراء، اندثر الدرب. اطمئنى يا عزيزتى. لا داعى. لا داعى لأن تخدعى نفسك، ينبغى، ولو مرة فى العمر، أن تواجهى الحقيقية مباشرة.

لوبوف أندرييفنا: أية حقيقة؟ أنت ترى أين الحقيقة وأين الكذب ولكنى لا أرى شيئا، كأنما فقدت بصرى. أنت تحل جميع المشاكل الهامة بجرأة، ولكن قل لى يا عزيزى، ألا يرجع ذلك إلى كونك شابا، وإلى أنك لم تعان مشكلة من مشاكلك هذه؟ أنت تتطلع إلى الأمام بجرأة، أفلا يرجع ذلك إلى أنك لا ترى ولا تتوقع أى شىء رهيب، إذ إن الحياة ما زالت خافية عن عينيك الشابتين؟ أنت أجرأ، وأشرف، وأعمق منا، ولكن أمعن النظر، كن سمحا ولو قدر أنملة وأشفق علىّ. أنا ولدت هنا، وهنا عاش أبى وأمى، وجدى، أنا أحب هذا البيت، وبدون بستان الكرز لا أفهم معنى لحياتى وإذا كان لا بد من بيع البستان، فلتبيعونى معه.. **(تعانق تروفيموف وتقبله**

فى جبينه) وابنى غرق هنا.. **(تبكى)** أشفق علىّ، أيها الرجل الطيب الخيرّ.

تـروفـيـمـوف: أنت تعلمين، أنا متعاطف من كل قلبى.

لوبوف أندرييفنا: لكن ينبغى قول هذا بصورة أخرى.. **(تخرج منديلها فتسقط برقية على الأرض)** كم أشعر اليوم بانقباض نفسى، أنت لا تستطيع أن تتصور. هنا بالنسبة لى صخب، وروحى ترتجف من كل صوت، بدنى كله يرتجف، لكنى لا أستطيع الذهاب إلى غرفتى، أخاف من البقاء وحدى فى السكون. لا تقس فى حكمك علىّ يا بيتيا.. إننى أحبك كابنى. وكان من الممكن أن أزوجك آنيا بكل سرور، أقسم لك، ولكن ينبغى يا عزيزى أن تدرس، ينبغى أن تنهى الجامعة. إنك لا تفعل شيئا، والمقادير تلقى بك من مكان إلى آخر، ما أغرب هذا.. أليس كذلك؟ نعم؟ ثم ينبغى أن تفعل شيئا بلحيتك، لكى تنمو بصورة ما.. **(تضحك)** أنت مضحك!

تـروفـيـمـوف: **(يرفع البرقية)** أنا لا أريد أن أكون جميلا.

لوبوف أندرييفنا: هذه برقية من باريس. كل يوم تصلنى برقيات. أمس، واليوم. هذا الرجل المتوحش مرض ثانية، ساءت حالته ثانية.. يرجو أن أسامحه، يتوسل أن أذهب إليه، وفى الحقيقة كان ينبغى علىّ أن أسافر إلى باريس، لكى

أكون بجواره. إن وجهك صارم يا بيتيا، ولكن ما العمل يا عزيزى، ماذا أفعل، إنه مريض، وحيد، تعيس، فمن سيعنى به هناك؟، من يحميه من الأخطاء؟، من يقدم له الدواء فى أوانه؟ وما فائدة الكتمان أو السكوت، إننى أحبه، هذا واضح. أحبه، أحبه.. إنه حجر فى عنقى، يشدنى معه إلى القاع، ولكنى أحب هذا الحجر، ولا أقوى على العيش بدونه. **(تضغط على يد تروفيموف)** لا تسئ بى الظن يا بيتيا، لا تقل لى شيئا، لا تقل..

تـروفـيـمـوف: **(من خلال الدموع)** اغفرى لى صراحتى، بالله عليك، ولكنه نهبك!

لوبوف أندرييفنا: كلا، كلا، كلا، لا تتكلم هكذا.. **(تسد أذنيها)**.

تـروفـيـمـوف: ولكنه وغد، أنت وحدك لا تعرفين هذا! وغد حقير، تافه..

لوبوف أندرييفنا: **(مغضبة ولكن بضبط أعصاب)** سنك ست وعشرون أو سبع وعشرون سنـة، وما زلت تلميذا فى السنـة الثانية!

تـروفـيـمـوف: فليكن!

لوبوف أندرييفنا: ينبغى أن تكون رجلا، فى سنك ينبغى أن تفهم من يحب. وينبغى أن تحب بنفسك.. ينبغى أن تعشق! **(بغضب)** نعم، نعم! وليس فى روحك طهارة بل تظاهر تافه بالطهر. أنت غريب، مضحك، مسخ..

تـروفـيـمـوف: **(مرتاعا)** ماذا تقول!

لوبوف أندرييفنا: «أنا أسمى من الحب!» لست أسمى من الحب بل أنت ببساطة، كما يقول فيرس، مغفل. شاب فى سنك وليس لديه عشيقة!..

تـروفـيـمـوف: **(مرتاعا)** هذا فظيع! ماذا تقول؟!

(يسير بسرعة إلى الصالة وقد وضع رأسه بين يديه) هذا فظيع... لا أستطيع، سأرحل.. **(ينصرف ويعود فورا)** كل شيء انتهى بيننا! **(ينصرف إلى المدخل)**.

لوبوف أندرييفنا: **(تصرخ فى أثره)** بيتيا، انتظر! يالك من مضحك، أنا كنت أمزح! بيتيا!

(يسمع وقع خطوات شخص ما سريعة على الدرج عند المدخل، ثم يسقط فجأة بدوى. آنيا وفاريا تصرخان، وعلى الفور يسمع ضحكهما).

ماذا هناك؟

(تدخل آنيا راكضة).

آنـيـا: **(ضاحكة)** بيتيا سقط من على الدرج! **(تنصرف ركضا)**.

لوبوف أندرييفنا: ياله من غريب الأطوار بيتيا هذا..

(ناظر المحطة يقف وسط الصالة ويقرأ قصيدة «الخاطئة» لأليكسى تولستوى[1]. الحاضرون يصغون

---

(١) أليكسى تولستوى (١٨١٧ ـ ١٨٧٥) شاعر روسى، اشتهرت قصيدته «الخاطئة» عن المرأة الضالة التى غفر لها المسيح ذنوبها. **المعرب**.

إليه، ولكن ما إن يقرأ بضعة أبيات حتى تتناهى من المدخل أنغام الفالس فتنقطع القراءة. الجميع يرقصون. يمر من المدخل تروفيموف وآنيا وفاريا ولوبوف أندرييفنا).

يابيتيا، أيها الروح الطاهرة.. أرجو المغفرة.. هيا بنا نرقص (**ترقص مع بيتيا**).

(آنيا وفاريا ترقصان يدخل فيـرس، يضع عصاه بجوار الباب الجانبى. ياشا أيضا يدخل من غـرفة الجلـوس وينظر إلى الراقصين).

يـــــاشــــا: ماذا يا جدى؟

فــــيـــــرس: أشعر بوعكة. فى الماضى كان يرقص فى حفلاتنا الجنرالات والبارونات والأميرالات، واليوم ندعو موظف البريد وناظر المحطة، وحتى هؤلاء يأتون على مضض. ضعفت قواى. السيد المرحوم، الجد، كان يداوى الجميع بالشمع الأحمر، من كل الأمراض. وأنا أتناول الشمع الأحمر كل يوم، منذ حوالى عشرين سنة، وربما أكثر. ربما مازلت حيا بسببه.

يـــــاشــــا: أضجرتنى يا جدى (**يتثاءب**) إن شاء الله تفطس بسرعة.

فــــيـــــرس: أخص.. مغفل! (**يدمدم**).

(تروفيموف ولوبوف أندرييفنا يرقصان فى الصالة ثم فى غرفة الجلوس).

لوبوف أندرييفنا: Merci، سأجلس... **(تجلس)** تعبت.

(تدخل آنيا)

آنـــيـــا: **(بانفعال)** هناك رجل فى المطبخ قال الآن إن بستان الكرز قد بيع اليوم.

لوبوف أندرييفنا: لمن بيع؟

آنـــيـــا: لم يقل لمن. لقد ذهب **(تراقص تروفيموف، كلاهما يبتعدان إلى الصالة)**.

يـــاشـــا: شيخ ما هو الذى تحدث هناك. شخص غريب.

فـــيـــرس: وليونيد أندرييتش لم يعد بعد. ارتدى معطفا خفيفا، معطف الخريف، فى أية لحظة قد يصاب بالبرد، شباب طائش!

لوبوف أندرييفنا: سأموت الآن. اذهب، ياشا، واعرف لمن بيع.

يـــاشـــا: لكن العجوز ذهب منذ وقت طويل. **(يضحك)**.

لوبوف أندرييفنا: **(بأسى خفيف)** وماذا يضحكك؟ ما الذى يسرك؟

يـــاشـــا: يبيخودوف مضحك جدا. شخص فارغ. عشرون مصيبة.

لوبوف أندرييفنا: فيرس، لو بيعت الضيعة فإلى أين تذهب؟

فـــيـــرس: سأذهب إلى حيث تأمرون.

لوبوف أندرييفنا: ما بال وجهك هكذا؟ هل أنت مريض؟ هلا ذهبت إلى الفراش..

فـــيـــرس: نعم.. **(بسخرية)** إذا ذهبت إلى الفراش فمن غيرى

سيخدم ومن سيتصرف؟ أنا وحدى لخدمة البيت كله.

يـــــاشــــا: **(للوبوف أندرييفنا)** لوبوف أندرييفنا، اسمحى لى برجاء لو تكرمت. إذا سافرت ثانية إلى باريس فلتأخذينى معك، أصنعى معروفا. لا يمكننى أبدا أن أبقى هنا **(يتلفت، ثم بصوت خافت)** ما جدوى الكلام؟ أنت ترين بنفسك، بلد جاهل، وناس بلا أخلاق، وفوق ذلك الضجر، والأكل فى المطبخ فظيع، ثم فيرس هذا يسير ويدمدم بشتى الكلمات غير المناسبة. خذينى معك لو تكرمت!

(يدخل بيشيك)

بـيـشـيـك: اسمحى لى أن أرجوك.. لرقصة الفالس يا سيدتى الرائعة.. **(لوبوف أندرييفنا تمضى معه)** أيتها الساحرة، سآخذ منك مع ذلك مائة وثمانين روبلا.. سآخذ.. **(يرقص)** مائة وثمانون روبلا..

(ينتقلان إلى الصالة)

يـــــاشــــا: **(يدندن بصوت خافت)** «هل تدركين عذاب قلبى...»

(في الصالة شخص فى قبعة أسطوانية رمادية وسروال كاروهات يشيح بيديه ويقفز. صيحات: «برافو شارلوتا إيفانوفنا!»)

دونـــيــاشـــا: **(تتوقف لتضع البودرة)** السيدة تأمرنى أن أرقص،

فالمراقصون كثيرون والسيدات قليلات، بينما رأسى يدور من الرقص، وقلبى يدق يا فيرس نيكولايفتش، الآن قال لى موظف البريد كلاما بهر أنفاسى.

(الموسيقى تهدأ)

فـــيـــرس: وما الذى قاله لك؟

دونـــيـــشـــا: قال أنت كالزهرة.

يـــاشـــا: يا للجهل.. **(ينصرف)**.

دونـــيـــاشـــا: كالزهرة.. أنا فتاة حساسة جدا، أموت فى الكلام الرقيق.

فـــيـــرس: ستقعين، يا فتاة.

(يدخل يبيخودوف)

يبيخـــودوف: أنت لا تريدين أن ترينى يا أفدوتيا فيودورفنا... كأنما أنا حشرة.. **(يتنهد)** آه، دُنيا!

دونـــيـــاشـــا: أى خدمة؟

يبيخـــودوف: لا شك أنكِ ربما كنتِ على صواب. **(يتنهد)** ولكن بالطبع، لو نظرنا من وجهة نظر، فإنك، ولأسمح لنفسى بهذا التعبير، وعفوا على الصراحة، قد جعلتنى تماما فى حالة الروح. إننى أعرف حظى، وكل يوم تحل بى مصيبة ما، وقد تعودت ذلك منذ وقت بعيد، وأصبحت أنظر إلى مصيرى بابتسامة. لقد وعدتنى، رغم أنى..

دونـــيــــاشــــا: أرجوك، سنتحدث فيما بعد، أما الآن فدعنى وشأنى. إننى الآن أحلم. **(تعبث بالمروحة)**.

يبيخـــودوف: كل يوم تحل بى مصيبة بينما أنا، وسأسمح لنفسى بهذا التعبير، أبتسم فحسب، بل حتى أضحك.

(تدخل فاريا من الصالة)

فـــــاريــــــا: أما زلت هنا يا سيميون؟ يالك من شخص غير محترم! **(لدونياشا)** انصرفى أنت يا دونياشا. **(ليبيخودوف)** تارة تلعب البلياردو فتكسر العصا، وتارة تتمخطر فى غرفة الجلوس كضيف.

يبيخـــودوف: اسمحى أن أعـرب لك أنـك لا تستطيعين أن تحاسبينى.

فـــــاريــــــا: أنا لا أحاسبك بل أكلمك. لا تعرف سوى أن تتنقل من مكان إلى مكان ولا تفعل شيئا. نستخدم وكيل أعمال، فلأى غرض..؟ لا نعرف.

يبيخـــودوف: **(بزعل)** إن كنت أعمل، أم أنتقل، أم آكل، أم ألعب البلياردو، فهذه مسائل لا يستطيع أن يناقشها إلا من هم أكبر، وأكثر فهما.

فـــــاريــــــا: وتجرؤ على أن تقول لى هذا! **(باحتداد)** أتجرؤ؟ إذن أنا لا أفهم شيئا؟ غُر من هنا فورا!

يبيخـــودوف: **(وقد جبن)** أرجوك أن تعبرى بكلمات رقيقة.

فـــــاريــــــا: **(منفجرة)** غر من هنا فورا! غر!

(يسير نحو الباب وهى تتبعه)

يا عشرين مصيبة! إياك أن تبقى هنا! إياك أن تراك عينى!

(يبيخودوف يخرج. يسمع صوته من وراء الباب):

«سوف أشكوك»

آه، تعود؟ **(تمسك العصا التى وضعها فيرس بجوار الباب)** تعال.. تعال.. تعال وسأريك.. آه، تأتى؟ تأتى؟ إذن خذ.. **(تهوى بالعصا فى اللحظة التى يدخل فيها لوباخين)**.

لـوبـاخـيـن: أشكرك من صميم القلب.

فـــاريـــا: **(بغضب وسخرية)** لا مؤاخذة.

لـوبـاخـيـن: لا بأس. أشكرك من صميم القلب على كرم الضيافة هذا.

فـــاريـــا: لا داعى للشكر **(تبتعد ثم تلتفت وتسأل بنعومة)** ألم أصبك بجرح؟

لـوبـاخـيـن: كلا، لا بأس. ولكن سيبرز ورم هائل.

أصـــوات فى الصالة: «لوباخين وصل! يرمولاى أليكسييتش!»

بـيـشـيـك: رأينا وسمعنا.. **(يتبادل القبل مع لوباخين)** تفوح منك رائحة الكونياك يا عزيزى، يا روحى. ونحن أيضا نمرح هنا.

(تدخل لوبوف أندرييفنا)

لوبوف أندرييفنا: أهو أنت يا يرمولاى أليكسييتش؟ لماذا تأخرتم هكذا؟ أين ليونيد؟

لـوبـاخـيـن: ليونيد أندرييتش جاء معى، إنه قادم..

لوبوف أندرييفنا: **(بقلق)** ماذا هناك؟ تمّ المزاد؟ تكلم!

لـوبـاخـيـن: **(محرجا، يخشى إظهار فرحته)** المزاد انتهى فى حوالى الرابعة.. تأخرنا على القطار، فاضطررنا للانتظار إلى التاسعة والنصف **(يتنهد بمعاناة)** أف! رأسى يدور قليلا..

(يدخل جايف، فى يده اليمنى مشتريات، وباليسرى يمسح دموعه).

لوبوف أندرييفنا: لونيا، ماذا؟ لونيا، قل **(بنفاد صبر، تبكى)** بسرعة بالله عليك..

جـايـف: **(لا يرد عليها، فقط يشيح بيده، يقول لفيرس باكيا)** خذ، أمسك.. هنا أنشوجا وفسيخ من كيرتش.. أنا لم آكل شيئا اليوم.. كم تعذبت!

(باب غرفة البلياردو مفتوح، تسمح ضربات الكرات وصوت ياشا: «سبعة وثمانية عشر!» يتغير تعبير وجه جايف، ولا يعود يبكى).

تعبت جدا. هلا جعلتنى أغير ملابسى يا فيرس.

(ينصرف إلى غرفته عبر الصالة، وفيرس يتبعه)

بـيـشـيـك: ماذا حدث فى المزاد؟ تكلم!

لوبوف أندرييفنا: هل بيع بستان الكرز؟

لـوبـاخـيـن: بيع.

لوبوف أندرييفنا: من اشتراه؟

لـوبـاخـيـن: أنا اشتريته.

(صمت)

(لوبوف أندرييفنا مقهورة. لو لم تكن واقفة بجوار الكرسى والطاولة لسقطت. فاريا تنزع المفاتيح من خصرها وتلقى بها على الأرض فى وسط غرفة الجلوس وتنصرف).

أنا اشتريته! مهلا يا سادة، لو تكرمتم، رأسى يدور، ولا أستطيع أن أتكلم... **(يضحك)** وصلنا إلى المزاد، فإذا ديرجانوف هناك. كان مع ليونيد أندرييتش خمسة عشر ألفا فقط، أما ديرجانوف فقد عرض فوق الدين ثلاثين ألفا على الفور. عندما وجدت المسألة هكذا اشتبكت معه، وعرضت أربعين. فعرض خمسة وأربعين. فعرضت خمسة وخمسين. كان يرفع بالخمسة يعنى، وأنا بالعشرة.. حسنا، انتهى. عرضت فوق الدين تسعين، فرسا المزاد علىّ. أصبح بستان الكرز لى! لى! **(يقهقه)** يا إلهى، ياربى، بستان الكرز لى! قولوا لى إننى سكران، إننى مجنون، إن هذا كله يخيل إلىّ.. **(يدق بقدميه)** لا تضحكوا منى! لو نهض أبى وجدى من قبريهما ونظرا إلى كل ما حدث، وكيف اشترى ابنهما يرمولاى، يرمولاى المضروب، شبه الأمى،

الذى كان يركض حافى القدمين فى الشتاء، كيف اشترى يرمولاى هذا ضيعة ليس هناك أروع منها فى الدنيا. أنا اشتريت الضيعة التى كان أبى وجدى عبدين فيها، وحيث لم يكن يسمح لهما حتى بدخول المطبخ. إننى نائم، وهذه مجرد تهيؤات، هذا يبدو لى فحسب.. هذا ثمرة خيالك الملفوفة بظلام المجهول.. **(يرفع المفاتيح ويبتسم برقة)** ألقت بالمفاتيح، تريد أن ترينى أنها لم تعد ربة البيت هنا... **(يصلصل بالمفاتيح)** حسنًا، سيان.

(تسمع أصوات ضبط آلات الفرقة)

أيها الموسيقيون، اعزفوا، أنا أريد أن أسمعكم! تعالوا جميعا لتروا كيف يعربد يرمولاى لوباخين بالفأس فى بستان الكرز، وكيف ستسقط الأشجار على الأرض! سنبنى الفيلات، وسيرى أحفادنا وأبناء أحفادنا هنا حياة جديدة.. فلتعزف الموسيقى!

(الموسيقى تعزف. لوبوف أندرييفنا تجلس على الكرسى وتبكى بحرقة).

(بتأنيب) لماذا إذن، لماذا لم تصغى إلىّ؟ أيتها المسكينة، أيتها الطيبة، لا فائدة الآن. **(تسيل دموعه)** أوه، لو ينتهى كل هذا بسرعة، لو تتغير بسرعة كيفما كان، حياتنا الخرقاء التعيسة.

بـيـشـيـك: **(يتأبط ذراعه، يقول بصوت خافت)** إنها تبكى. لنذهب

إلى الصالة، فلتبق وحدها.. هيا بنا.. **(يتأبط ذراعه ويسحبه إلى الصالة).**

لـوبـاخـيـن: ما هذا؟ فلتعزف الموسيقى بوضوح! فليكن كل شىء كما أريد! **(باستهزاء)** السيد الجديد يسير، مالك بستان الكرز! **(يصطدم بطاولة صغيرة عفوا فيكاد يقلب الشمعدان)** أستطيع أن أدفع ثمن كل شىء! **(ينصرف مع بيشيك).**

(لا يبقى فى الصالة وغرفة الجلوس أحد سوى لوبوف أندرييفنا التى تجلس منكمشة على نفسها وهى تبكى بحرقة. الموسيقى تعزف بصوت خافت. آنيا وتروفيموف يدخلان بسرعة. آنيا تقترب من أمها وتجثو أمامها على ركبتيها. تروفيموف يقف بجوار مدخل الصالة).

آنـــيـــــا: ماما!.. ماما، أتبكين؟ يا عزيزتى، يا أمى الطيبة، العزيزة، يا غاليتى الرائعة، إننى أحبك..

إننى أباركك. بستان الكرز بيع، لم يعد موجودا، هذا صحيح، صحيح، ولكن لا تبكى يا ماما، بقيت لديك حياتك القادمة، بقيت لديك روحك الطيبة الطاهرة.. هيا معى، هيا بنا يا غاليتى من هنا، لنذهب!.. سنغرس لنا بستانا جديدا، أكثر روعة من هذا، وسترينه وستفهمين، فتغمر روحك فرحة هادئة، فرحة عميقة، كالشمس وقت الغروب، فتبتسمين يا ماما! هيا يا حبيبتى! هيا!

(ستار)

الفصل الرابع

ديكور الفصل الأول. الستائر نزعت من النوافذ واللوحات من على الجدران، وبقى القليل من الأثاث الذى جمع فى ركن واحد كأنما للبيع. الخواء ظاهر ملموس. بجوار باب الخروج وفى عمق الخشبة رصت الحقائب وصرر السفر وخلافه. الباب الأيسر مفتوح، ويتناهى منه صوتا فاريا وآنيا. لوباخين يقف منتظرا. ياشا يحمل صينية عليها أكواب مليئة بالشمبانيا. فى المدخل يبيخودوف يربط صندوقا. وراء الخشبة عميقا يسمع لغط الفلاحين، الذين جاءوا للتوديع. صوت جايف: «شكرا ياجماعة، شكرا لكم».

يـــــاشـــــا: الناس البسطاء جاءوا ليودعونا. أنا رأيى يا يرمولاى أليكسييتش أن الشعب طيب، ولكنه قليل الفهم.

(اللغط يهدأ. تدخل من المدخل لوبوف أندرييفنا وجايف. لا تبكى ولكنها شاحبة، وجهها يرتعش، لا تقوى على الكلام).

جـــــايــــف: أعطيتهم محفظتك يا لوبا. هذا لا يصح، لا يصح!

لوبوف أندرييفنا: لم أستطع! لم أستطع!

(ينصرفان)

لــوبــاخــيــن: **(فى الباب، فى أثرهما)** تفضلوا لو سمحتم! كأسا للوداع. لم أفطن إلى شرائها فى المدينة، وفى المحطة لم أجد سوى زجاجة واحدة. تفضلوا!

(صمت)

حسنا يا سادة! لا تريدون؟ **(يبتعد عن الباب)** لو كنت أدرى ما اشتريتها. طيب، لن أشرب أنا أيضا.

(ياشا يضع الصينية بحذر على الكرسى)

اشرب ولو أنت يا ياشا.

يــــاشــــا: نخب السفر! نترككم بخير! **(يشرب)** هذه شمبانيا ليست أصلية، أؤكد لك.

لــوبــاخــيــن: بثمانية روبلات الزجاجة.

(صمت)

البرد جهنمى هنا.

يــــاشــــا: لم نشغل المدافىء اليوم، فسوف نسافر.

(يضحك)

لــوبــاخــيــن: ماذا بك؟

يــــاشــــا: من الفرحة.

لــوبــاخــيــن: نحن فى شهر أكتوبر بينما الجو مشمس وساكن كما فى الصيف، يناسب التشييد. **(ينظر فى ساعته ويقول نحو الباب)** ضعوا فى اعتباركم يا سادة، لم تبق سوى

ست وأربعين دقيقة على قيام القطار! وإذن فبعد عشرين دقيقة إلى المحطة. استعجلوا.

(تروفيموف فى المعطف يدخل قادما من الخارج)

تـروفـيـمـوف: أعتقد أنه حان الوقت للسفر. العربة جاهزة. الشيطان يعلم أين خفى. ضاع. **(نحو الباب)** آنيا، خفى ضاع! لا أجده!

لــوبــاخــيــن: علىّ أن أسافر إلى خاركوف. سأستقل معكم نفس القطار. سأقضى الشتاء كله فى خاركوف. لقد تسكعت معكم طويلا،. وهدتنى البطالة. لا أستطيع أن أبقى بلا عمل، إذ لا أعرف ماذا أفعل بيدىّ. تتهدلان بصورة غريبة، وكأنهما ليستا يدىَّ.

تـروفـيـمـوف: سنرحل الآن، وتعود إلى عملك المفيد.

لــوبــاخــيــن: هيا، اشرب كأسا.

تـروفـيـمـوف: لا.

لــوبــاخــيــن: إذن فإلى موسكو الآن؟

تـروفـيـمـوف: نعم، سأوصلهم إلى المدينة، وغدا إلى موسكو.

لــوبــاخــيــن: نعم.. حسنا، الأساتذة لا يلقون المحاضرات، لا بد أنهم فى انتظار حضورك!

تـروفـيـمـوف: ليس هذا شأنك.

لــوبــاخــيــن: كم سنة تدرس فى الجامعة؟

تـروفـيـمـوف: ابتكر شيئا جديدا. هذا قديم وسطحى **(يبحث عن**

الخف) أتدرى، أعتقد أننا لن نتقابل بعد، فلتسمح لى إذن أن أقدم لك نصيحة ساعة الوداع: لا تشوح بيديك! تخلّ عن هذه العادة.. عادة التشويح. وأيضا بناء الفيلات على أمل أن يتحول بعض المصطافين إلى منتجين، هذا الأمل أيضا معناه التشويح.. مهما كان هناك فإننى أحبك مع ذلك . إن أصابعك رفيعة، ناعمة، مثل أصابع الممثل، وروحك حساسة، رقيقة..

لـوبـاخـيـن: **(يعانقه)** وداعا يا عزيزى. شكرا على كل شىء. إذا كنت محتاجا فخذ منى نقودا للطريق.

تـروفـيـمـوف: وما حاجتى إليها؟ لا داعى.

لـوبـاخـيـن: ولكنك بلا نقود!

تـروفـيـمـوف: بل عندى. أشكرك. تلقيت حوالة. هاهى النقود هنا، فى جيبى. **(بقلق)** ولكنى لا أجد خفى!

فـــاريـــا: **(من الغرفة الأخرى)** خذ خفك المقزز!

(تلقى على خشبة المسرح بخفين من المطاط)

تـروفـيـمـوف: مالك غاضبة يا فاريا؟ إم.. إنه ليس خفى!

لـوبـاخـيـن: فى الربيع زرعت مائة هكتار من الخشخاش، وحصلت الآن على أربعين ألفا صافية. وعندما أزهر خشخاشى، فيا لها من لوحة كانت! وهكذا، أقول، كسبت أربعين ألفا، وعلى هذا أعرض عليك سلفة لأنى قادر. فلماذا الاستعلاء؟ إننى فلاح.. أتعامل ببساطة.

تـروفـيـمـوف: أبوك كان فلاحا، وأبى كان صيدليا، ولا يترتب على ذلك أى شيء على الإطلاق.

(لوباخين يخرج محفظته)

دعك.. دعك.. لو أعطيتنى مائتى ألف فلن آخذها. أنا إنسان حر. وكل ما تقدرونه عاليا وغاليا أنتم جميعا، أغنياء وفقراء، ليس له علىّ أدنى سلطان، مثل الزغب المتطاير فى الهواء. أستطيع أن أستغنى عنكم، أستطيع أن أمر من جواركم غير عابئ، فأنا قوى وأبىّ. البشرية تسير إلى الحقيقة السامية، إلى السعادة السامية، أقصى ما يمكن بلوغه على وجه الأرض، وأنا فى الصفوف الأولى!

لـوبـاخـيـن: وستصل؟

تـروفـيـمـوف: سأصل.

(صمت)

سأصل، أو أرشد الآخرين إلى طريق الوصول.

(تسمع على البعد ضربات فأس فى شجرة).

لـوبـاخـيـن: حسنا، وداعا يا عزيزى. حان وقت الرحيل. كل منا يتعالى على الآخر، ولكن الحياة تمضى فى طريقها. عندما أعمل وقتا طويلا، بلا توقف، تصبح أفكارى حية، ويخيل إلىَّ أننى أعرف أيضا لماذا أعيش. وما أكثر الأشخاص فى روسيا الذين لا يعرفون يا أخى

لماذا يعيشون. ومع ذلك فليست دورة الأشياء في هذا. يقال إن ليونيد أندرييتش تولى منصبا، سيعمل في بنك، ستة آلاف روبل في السنة.. ولكنه لن يبقى طويلا، فهو كسول جدا..

آنـيـا: **(وهي في الباب)** ماما ترجوك ألا يقطعوا أشجار البستان حتى تسافر.

تروفيموف: بالفعل، يا له من عدم لباقة!.. **(ينصرف من المدخل)**.

لوباخين: حالا، حالا.. يا لهم من ناس، حقا. **(يخرج في أثره)**.

آنـيـا: هل أرسلوا فيرس إلى المستشفى؟

ياشـا: قلت لهم صباحا. لا بد أنهم أرسلوه.

آنـيـا: **(لبيبخودوف المار عبر الصالة)** اسأل يا سيميون بانتلييتش لو سمحت، عما إذا كان فيرس قد نقل إلى المستشفى.

ياشـا: **(بزعل)** في الصباح قلت ليجور. ما الداعي للسؤال عشر مرات!

بيبخودوف: فيرس الطويل العمر، حسب رأيي النهائي، لا يجدي معه الإصلاح، عليه أن يلحق بأسلافه، أما أنا فلا يسعني إلا أن أغبطه. **(يضع الحقيبة على علبة كرتون بداخلها**

قبعة فيسحقها) هكذا، طبعا. هذا ما كنت أعرفه.
(ينصرف).

يــــاشـــا: **(بسخرية)** عشرون مصيبة..

فـــاريـــا: **(من خلف الباب)** هل نقلوا فيرس إلى المستشفى؟

آنـــيـــا: نقلوه.

فـــاريـــا: ولماذا لم يأخذوا رسالة للدكتور؟

آنـــيـــا: ينبغي إرسالها فى أثره.. **(تنصرف)**

فـــاريـــا: **(من الغرفة المجاورة)** أين ياشا؟ قولوا له إن أمه جاءت، وتريد أن تودعه.

يــــاشـــا: **(يشيح بيده)** لا يفعلون إلا إغاظتى.

(دونياشا تسعى طوال الوقت بجوار الأمتعة. وحيثما أصبح. ياشا وحده تقترب منه)

دونـــيـــاشـــا: ألق نظرة ولو مرة يا ياشا. أنت راحل.. تهجرنى.. **(تبكى وتتعلق برقبته)**.

يــــاشـــا: لم البكاء؟ **(يشرب الشمبانيا)** بعد ستة أيام سأكون ثانية فى باريس. غدا نستقل القطار السريع وننطلق، فلا نترك أثرا. إننى حتى لا أصدق نفسى.. فيف لا فرانس![1].. الجو هنا لا يناسبنى، لا أستطيع أن أعيش هنا.. ليس باليد حيلة. شبعت من رؤية الجهل، كفانى

(١) تحيا فرنسا! (عن الفرنسية).

(يشرب الشمانيا) لماذا البكاء؟ تصرفى بحشمة وعندئذ لن تبكى.

دونـيـاشـا: **(تضع البودرة متطلعة فى مرآة)** أرسل إلىَّ رسالة من باريس. لقد أحببتك يا ياشا، كم أحببتك! أنا مخلوق رقيق يا ياشا!

يـاشـا: أحدهم قادم. **(يسعى بجوار الأمتعة ويدندن بصوت خافت)**.

(تدخل لوبوف أندرييفنا وجايف وآنيا وشارلوتا إيفانوفنا).

جـايـف: لعلنا نتحرك الآن. لم يبق وقت كثير **(ينظر إلى ياشا)** ممن تفوح رائحة الفسيخ؟

لوبوف أندرييفنا: بعد حوالى عشر دقائق دعونا نستقل العربات.. **(تطوف بنظراتها على الغرفة)** وداعا بيتنا العزيز، جدنا العجوز. سيمر الشتاء ويحل الربيع، وبحلوله لن تعود موجودا، سيهدمونك. كم رأت هذه الجدران! **(تقبل ابنتها بحرارة)** يا كنزى الغالى، أنت تتهللين، عيناك تشعان كماستين. هل أنت راضية؟ جدا؟

آنـيـا: جدا! ستبدأ حياة جديدة يا ماما!

جـايـف: **(بمرح)** بالفعل، كل شىء الآن حسن. قبل بيع بستان الكرز كنا جميعا قلقين، نعانى، ولكن حينما حسمت المسألة نهائيا، وبلا رجعة، هدأ الجميع، بل حتى ابتهجوا... أنا موظف بنك، أصبحت رجل مالية..

الصفراء إلى الوسط، وأنت يا لوبا، مهما كان، تبدين أفضل، بالتأكيد.

لوبوف أندرييفنا: نعم. أعصابى أفضل، هذا صحيح.

(يقدمون لها القبعة والمعطف)

أنام جيدا. احمل أمتعتى يا ياشا. حان الوقت. (لآنيا) يا بنيتى، سنلتقى قريبا.. سأرحل إلى باريس، سأعيش هناك بالنقود التى أرسلتها جدتك فى ياروسلافل لشراء الضيعة، عاشت الجدة!، ولكن هذه النقود لن تكفى طويلا.

آنـــــيـــــا: ستعودين قريبا جدا يا ماما.. أليس كذلك؟ أنا سأذاكر، وأمتحن فى المدرسة، وبعد ذلك سأعمل، وسأساعدك. سوف نقرأ معا يا ماما مختلف الكتب.. أليس كذلك؟ **(تقبل يدى أمها)** سوف نقرأ فى أمسيات الخريف، سنقرأ كتبا كثيرة، وسيتكشف أمامنا عالم جديد، رائع.. **(تحلم)** عودى يا ماما..

لوبوف أندرييفنا: سأعود يا حبيبتى **(تضم ابنتها)**.

(يدخل لوباخين. شارلوتا تـدندن أغنية بصوت خافت).

جـــايـــف: ما أسعد شارلوتا.. تغنى!

شـــارلـــوتـــا: **(تناول صرة تشبه مولودا ملفوفا)** نم يا طفلى، نم..

(يسمع بكاء طفل: «وا.. وا..»)

لا تبك يا صغيرى، يا طفلى العزيز

(«وا.. وا..»)

كم أرثى لك! **(تلقى بالصرة إلى مكانها)** أرجوك هيئ لى مكانا، أنا لا أستطيع هكذا.

لـوبـاخـيـن: سنهيئ لك يا شارلوتا إيفانوفنا، اطمئنى.

جـــايـــف: الجميع يهجروننا، فارياً ترحل.. أصبحنا فجأة بلا ضرورة.

شـــارلـــوتـــا: ليس لى مسكن فى المدينة. ينبغى أن أرحل.. **(تدندن)** سيان..

(يدخل بيشيك)

لـوبـاخـيـن: معجزة الطبيعة!

بـيـشـيـك: **(لاهثا)** أوه، دعونى أسترد أنفاسى.. تعذبت.. أيها المحترمون.. أعطونى ماء..

جـــايـــف: تراك ستطلب نقودا؟ كلا، اعفونى، سأبتعد عن الشر.. **(ينصرف)**

بـيـشـيـك: لم أزركم من مدة طويلة.. سيدتى الرائعة.. **(للوباخين)** وأنت هنا.. سعيد برؤيتك.. أيها العقل الجبار.. خذ.. تسلم.. **(يمد نقودا للوباخين)** أربعمائة روبل.. يبقى علىّ ثمانمائة وأربعون.

لـوبـاخـيـن: **(يهز كتفيه مستغربا)** كأنما فى حلم.. من أين أخذتها؟

بـيـشـيـك: مهلا.. الدنيا حر.. حادث لا مثيل له. جاءنى إنجليز

فعثروا فى الأرض على طين ما أبيض.. **(للوبوف أندرييفنا)** ولك أربعمائة.. سيدتى الرائعة، المدهشة.. **(يناولها النقود)** الباقى فيما بعد. **(يشرب ماء)** حدثنى أحد الشبان وأنا قادم فى عربة القطار، فقال إن أحد الـ.. الفلاسفة العظام ينصح بالقفز من الأسطح.. يقول: «اقفز!» وهذه هى المسألة كلها. **(باستغراب)** يا سلام! أعطونى ماء!..

لـوبـاخـيـن: أى إنجليز جاءوك؟

بـيـشـيـك: أجّرت لهم قطعة الأرض ذات الطين لأربعة وعشرين عاماً.. والآن عفوا، أنا مستعجل.. علىَّ أن أواصل الركض.. سأرحل إلى زنويكوف.. وإلى كاردامونوف.. مدين للجميع.. **(يشرب)** تمنياتى لكم.. سأزوركم الخميس..

لوبوف أندرييفنا: سنرحل الآن للإقامة فى المدينة، وغدا سأرحل أنا إلى الخارج..

بـيـشـيـك: كيف؟ **(بقلق)** لماذا فى المدينة؟ آه، ولهذا فالأثاث.. والحقائب.. لكن لا بأس.. **(من خلال الدموع)**.. لا بأس.. أناس جبارو العقول.. هولاء الإنجليز.. لا بأس.. وهبكم الله السعادة.. وفقكم الله.. لا بأس.. لكل شىء فى هذه الدنيا نهاية.. **(يقبل يد لوبوف أندرييفنا)** فإذا بلغك أن نهايتى حلت، فلتتذكرى هذا الـ.. الحصان،

وقولى: «عاش فى الدنيا فلان الفلانى.. سيميونوف ـ بيشيِّك.. عليه الرحمة».. يا للطقس الرائع.. نعم.. **(يخرج فى ارتباك شديد ولكنه يعود فورا ويقول وهو فى الباب)** داشنكا تهديكم تحياتها! **(ينصرف)**.

لوبوف أندرييفنا: يمكننا الآن أن نسافر. أرحل بهمّين. الهم الأول هو فيرس المريض **(تنظر إلى ساعتها)** ما زال لدينا خمس دقائق..

آنـــيـــا: ماما، فيرس أرسلوه إلى المستشفى. ياشا أرسله فى الصباح.

لوبوف أندرييفنا: والهم الثانى هو فاريا. تعودتْ أن تستيقظ مبكرا لتعمل، وهى الآن بلا عمل كالسمكة بلا ماء. هزلت وشحبت، وتبكى، المسكينة..

(صمت)

أنت تعرف هذا تماما يا يرمولاى أليكسييتش. كنت أحلم.. بأن أزوجها لك. وكان يبدو، من كل الدلائل، أنك ستتزوجها. **(تهمس لآنيا، فتومئ هذه لشارلوتا وتخرجان كلتاها)** إنها تحبك، وأنت تميل إليها، ولست أدرى، لست أدرى لماذا يبدو وكأن كلا منكما يتحاشى الآخر. لست أفهم!

لـوبـاخـيـن: أنا أيضا لا أفهم، صدقينى. غريب كل ذلك.. إذا كان ما يزال ثمة وقت، فأنا مستعد ولو الآن.. نفرغ من

المسألة، وانتهينا. أما بدونك فأشعر أني لن أقدر على خطبتها.

لوبوف أندرييفنا: رائع إذن. تكفي دقيقة واحدة فقط. سأناديها الآن..

لـوبـاخـيـن: وبالمناسبة لدينا شمبانيا. **(ينظر إلى الأكواب)** إنها فارغة، شربها أحد ما.

(ياشا يسعل)

هذا اسمه.. لعق..

لوبوف أندرييفنا: **(بحيوية)** رائع. نحن سنخرج.. ياشا، allez[1] سأناديها.. **(نحو الباب)** فاريا، دعي كل شيء وتعالي هنا. تعالي!

(تخرج مع ياشا)

لـوبـاخـيـن: **(ينظر إلى ساعته)** نعم..

(صمت)

(خلف الباب ضحك مكتوم وهمس، وأخيراً تدخل فاريا).

فـاريـا: **(تتفحص الأمتعة طويلا)** غريبة، لا أستطيع أبدا أن أجدها..

لـوبـاخـيـن: عم تبحثين؟

فـاريـا: رتبتها بنفسي ولا أذكر.

(صمت)

لـوبـاخـيـن: وإلى أين تذهبين الآن يا فارفارا ميخايلوفنا؟

فـاريـا: أنا؟ إلى آل راجولين.. اتفقت أن أتولى شئون البيت عندهم.. مدبرة يعني..

---

(١) اذهب! ـ (بالفرنسية في الأصل).

لــوبــاخـــيـــن: هذا فى ياشنيفو؟ حوالى سبعين كليومترا.

(صمت)

ها قد انتهت الحياة فى هذا البيت..

فـــــاريـــــا: **(تتفقد الأمتعة بنظرها)** أين هى.. ربما أكون وضعتها فى الصندوق.. نعم ، الحياة انتهت فى هذا البيت.. لن تعود أبدًا..

لــوبــاخـــيـــن: أنا مسافر إلى خاركوف الآن.. وفى نفس القطار. الأعمال كثيرة. أترك هنا يبيخودوف، لقد استأجرته.

فـــــاريـــــا: آه.

لــوبــاخـــيـــن: فى العام الماضى كان الثلج يهطل فى مثل هذا الوقت، لو تذكرين، أما الآن فالجو هادئ، مشمس. فقط بارد قليلا.. حوالى ثلاث درجات تحت الصفر.

فـــــاريـــــا: لم أنظر إلى مقياس الحرارة.

(صمت)

ثم إنه مكسور..

(صمت)

صوت من الخارج عبر الباب: «يرمولاى أليكسييتش»!

لــوبــاخـــيـــن: **(كأنما كان ينتظر هذا النداء من زمان)** حالاً! **(يخرج بسرعة)**

(تجلس فاريا على الأرض، وتسند رأسها إلى صرة بها ملابس وتنتحب بصوت خافت. يفتح الباب وتدخل لوبوف أندرييفنا بحذر)

لوبوف أندرييفنا: ماذا؟

(صمت)

ينبغي أن نرحل.

فـــــاريــــا: **(كفت عن البكاء ومسحت دموعها)** نعم، حان الوقت يا ماما. سأصل إلى آل راجولين اليوم، المهم ألا نتأخر عن القطار..

لوبوف أندرييفنا: **(نحو الباب)** آنيا، البسي!

(تدخل آنيا، ثم جايف وشارلوتا إيفانوفنا. جايف في معطف ثقيل بقلنسوة. يجتمع الخدم والحوذية. يبيخودوف يسعى بجوار الأمتعة)

الآن يمكننا أن نرحل.

آنــــيــــا: **(بفرح)** لنرحل!

جـــايــــف: أصدقائى، الأعزاء الأحباء! هل يسعنى إذ أغادر هذا البيت أن أسكت، هل يسعنى أن أمسك عن الإفصاح لحظة الوداع عن تلك المشاعر التى تملأ الآن كل جوانحى..

آنــــيــــا: **(بضراعة)** خالى!

فـــــاريــــا: **لا داعى يا خالى!**

جـــايــــف: **(بانكسار)** الصفراء إلى الوسط دوبليه سكتّ..

(يدخل تروفيموف، ثم لوباخين)

تـروفـيـمـوف: حسنا يا سادة، حان وقت الرحيل!

لــوبــاخــيــن: **معطفى يا يبيخودوف!**

لوبوف أندريفنا: سأجلس دقيقة أخرى كأنما لم أر من قبل كيف تبدو جدران هذا البيت، وأسقفه، والآن أحدق فيها بنهم، بحب رقيق..

جـــايـــف: أذكر عندما كنت فى السادسة، فى عيد العنصرة، كنت جالسا على هذه النافذة وأنظر إلى أبى وهو ذاهب إلى الكنيسة..

لوبوف أندريفنا: أخذتم كل الأمتعة؟

لــوبــاخــيــن: يبدو كلها **(ليبيخودوف وهو يرتى المعطف)** انتبه يا يبيخودوف إلى أن يكون كل شىء على ما يرام.

يبيخـــودوف: **(يتكلم بصوت أبح)** اطمئن يا يرمولاى أليكسييتش.

لــوبــاخــيــن: ماذا جرى لصوتك؟

يبيخـــودوف: شربت الآن ماء فبلعت شيئا ما.

يـــاشـــا: **(باحتقار)** يا للجهل..

لوبوف أندريفنا: سنرحل، ولا يبقى هنا أحد..

لــوبــاخــيــن: حتى الربيع القادم.

فـــاريـــا: **(تنتزع من الصرة مظلة، فيبدو وكأنها تهم بضرب أحد. لوباخين يتظاهر بالخوف)** لا تخف، لا تخف.. لم يخطر هذا ببالى..

تـروفـيـمـوف: يا سادة فلنركب العربات.. حان الوقت! القطار سيصل قريبا!

فـــاريـــا: بيتيا، ها هو خفك، بجوار الحقيبة. **(من خلال الدموع)** كم هو متسخ، وقديم..

تـروفـيـمـوف: **(يرتدى الخف)** هيا يا سادة!..

جـــايـــف: **(خجل بشدة، يخشى أن يبكى)** القطار.. المحطة.. الكروازيه إلى الوسط، الأبيض دوبليه إلى الزاوية..

لوبوف أندريفنا: هيا بنا!

لـوبـاخـيـن: الجميع هنا؟ لا أحد هناك؟ **(يوصد الباب الجانبى الأيسر)** الأمتعة مرصوصة هنا، ينبغى أن نوصد. هيا بنا!..

آنـــيـــا: وداعا بيتنا! وداعا حياتنا القديمة!

تـروفـيـمـوف: مرحبا بالحياة الجديدة!.. **(يخرج مع آنيا)**

(فاريا تطوف ببصرها على الغرفة وتنصرف على مهل. يخرج ياشا وشارلوتا ومعها كلبها)

لـوبـاخـيـن: إذن فإلى الربيع. اخرجوا ياسادة.. إلى اللقاء!... **(ينصرف)**

(لوبوف أندريفنا وجايف يبقيان معا. وكأنما كانا ينتظران ذلك، إذ هب كل منهما يعانق الآخر وراحا ينتحبان نحيبا مكتوما، بصوت خافت، خشية أن يسمعهما أحد)

جـــايـــف: **(فى يأس)** يا أختى، يا أختى..

لوبوف أندريفنا: يا بستانى العزيز، بستانى الرقيق الرائع!.. يا حياتى، ياشبابى، يا سعادتى.. وداعا!..

(صوت آنيا المرح ينادى: «ماما!..» صوت تروفيموف المرح المنفعل يصيح: «أووو»)

لوبوف أندرييفنا: لأتطلع للمرة الأخيرة إلى الجدران، إلى النوافذ.. كانت المرحومة أمى تحب السير فى هذه الغرفة..

جـــايـــف: يا أختى، يا أختى!..

(صـوت آنـيـا: «مـامـا!..» صـوت تروفيموف: «أووو!..»)

لوبوف أندرييفنا: نحن قادمان!..

(ينصرفان)

(الخشبة خاوية. يسمع صوت الأبواب وهى توصد كلها بالمفاتيح، ثم صوت رحيل العربات. يسود الهدوء. وسط السكون تتردد ضربة فأس مكتومة على شجرة، فترن وحيدة حزينة. يسمع وقع خطوات. من الباب الأيمن يظهر فيرس. يرتدى ملابسه المعتادة: السترة والصديرية البيضاء، وفى قدميه شبشب هو مريض).

فـــيـــرس: **(يقترب من الباب ويشد المقبض)** مغلق سافروا.. **(يجلس على الكنبة)** نسونى.. لا بأس.. سأجلس هنا.. لا بد أن ليونيد أندرييتش نسى أن يرتدى معطف الفراء، وذهب بمعطف الخريف.. **(يتنهد مهمومًا)** أنا لم أنتبه.. طيش الشبـاب! **(يدمدم بشىء لا يمكن فهمه)** مر العمر، وكأنما لم أعش **(يضطجع)** سأرقد قليلا ليس لديك أية قوى، لم يتبق شىء أبدًا.. آه.. يالك من مغفل! **(يرقد بلا حراك)**

(يسمع صوت من بعيد، كأنما آت من السماء، صوت وتر تمزق، صوت متلاش، حزين. يحل الصمت ولا تسمع إلا ضربات بالفأس على شجرة بعيدا فى البستان).

(ستار)